

رؤية الخليفة الراشد علي بن أبي طالب العلميين

المُعَلِّمُ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾

تأليف

د. د. عَلِيُّ بْنُ غَازِي التَّوَجُّجِيِّ

المدرس بالمسجد النبوي

والأستاذ بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

المُعَامِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا

﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾

تأليف

د. د. عَلِيٌّ بْنُ غَازِيٍّ التَّوَجُّجِيُّ

المدرس بالمسجد النبوي

والأستاذ بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقاً

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على أشرف الأنبياء
والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
فإنتى قد أذنت للجنة المنظمة لدورة الخليفة الراشد علي بن أبي
طالب رضي الله عنه العلمية بطباعة - سألني السائلة:
١- المنهيات في سورة الحجرات .

- ٢- أحكام الوعد بنبأ سورتي الخلع والحقد
- ٣- المعلم في بيان الآيات التي قال ربنا فيها (ومن الظلم)
- ٤- فتح الإله بشرح آيات الرؤيا في كتاب الله .

وصله الله وسلم على نبينا محمد

قاله وكتبه ١٠٠٠ علي بن غازی التوحيدي

١٤٣٩ هـ

مَقَالَمَاتُ

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [الْعَنْكَبُوتُ: ١٠٢]،
 ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النَّبَا: ١]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الْأَحْزَابُ: ٧٠ - ٧١]؛ أما بعد^(١):

فإن القارئ لكتاب الله **جَلَّ وَعَلَا** يلفت انتباهه أن ثمة آيات قال الله فيها: ﴿وَمَنْ **أَظْلَمُ**﴾ ثم يذكر فيها ذنباً غير الذي ذكره في الآية الأخرى، مما يجعل النفس تتطلع إلى معرفة وجه ذلك والوقوف على ما ذكره أهل العلم حول هذه الآيات من توجيه أو جمع لها؛ لأنه لما لاشك فيه أن نصوص الوحي لا تعارض بينها ولا تضاد، وإنما ذلك في أفهام الناس وعقولهم، وحيث إن معرفة ذلك من الأهمية بمكان رغبت أن أكتب في ذلك مع شرح الآيات الواردة فيها وسميته:

﴿ **المُعَامُ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا** ﴾ ﴿وَمَنْ **أَظْلَمُ**﴾.

(١) هذه خطبة الحاجة التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ يعلمها أصحابه، ومن الخير للمسلم أن يعوّد لسانه قولها، وقلمه كتابتها بين يدي قوله أو كتابته، وقد أخرجها الإمام أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٦٢، ٢٦٤) ح (٣٧٢١، ٣٧٢٠)، وأبو داود في «سننه» (٢/ ٢٣٨) ح (٢١١٨) والترمذي في «جامعه» (٣/ ٤٠٤) ح (١١٠٥) والحاكم في «مستدرکه» (٢/ ١٩٩) وقد أفردها الشيخ الألباني في رسالة خاصة باسم «خطبة الحاجة» فجمع ألفاظها، وطرقها، وبيّن من خرّجها.

أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه:

تتلخص أسباب الكتابة في الموضوع وأهميته في النقاط التالية:

١. إن سعادة الأمة كامنة في رجوعها إلى كتاب ربها، والعمل بما فيه، فكل ما يردُّها إليه ويحملها على العمل بما فيه فهو من الأهمية بمكان.
٢. إزالة ما يوهم التعارض بين الآيات التي قيل فيها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.
٣. معرفة هذه الأمور التي بلغت من الظلم أعظمه ليجتنبها المسلم.
٤. الوقوف على كلام أهل العلم في توجيه هذه الآيات.
٥. معرفة شرح الآيات الواردة في ذلك عمومًا.
٦. المساهمة في إفادة المسلمين وتبصيرهم بتفسير كتاب ربهم.

خطة البحث:

ستكون الكتابة في هذا البحث بإذن الله في مقدمة ومبحثين، وتفصيلها كالتالي:

مُقَدِّمَةً: وفيها بيان أهمية البحث وأسباب اختياره، وقد سبقت قريباً.

المبحث الأول: تعريف الظلم وبيان أنواعه،
والنصوص الواردة في التحذير منه، وذكر أقوال
أهل العلم في توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾،
وجعلته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الظلم لغةً، واصطلاحاً.

المطلب الثاني: بيان أنواع الظلم.

المطلب الثالث: النصوص الواردة في التحذير من
الظلم.

المطلب الرابع: أقوال أهل العلم في توجيه قوله
تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

المبحث الثاني: في ذكر الذنوب التي قال الله فيها:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وبيانها، ويقع في تسعة مطالب:

المطلب الأول: منع المساجد من ذكر اسم الله فيها
والسعي في خرابها، وبيانها، وتحت أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نص الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها لغةً، وفي

أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم منع المساجد من ذكر الله والسعي في خرابها وشدة

تحرّيمه.

المطلب الثاني: كتم الشهادة من الله، وبيان، وتحت
أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بكتّم الشهادة لغّةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم كتمان الشهادة من الله وشدة تحرّيمه.

المطلب الثالث: افتراء الكذب على الله، وبيان، وتحت
أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآيات.

الفرع الثاني: بيان المراد بافتراء الكذب على الله لغّةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآيات.

الفرع الرابع: بيان حكم افتراء الكذب على الله وشدة تحرّيمه.

المطلب الرابع: التّكذيب بآيات الله، وبيان، وتحت
أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآيات.

الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بآيات الله لغةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآيات.

الفرع الرابع: بيان حكم التكذيب بآيات الله، وشدة تحريمه.

المطلب الخامس: ادعاء أحد أن الله أوحى إليه والله لم يوحِ إليه شيئاً، وبيان، وتحت أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نص الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوحِ إليه شيئاً لغةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم ادعاء أحد أن الله أوحى إليه ولم يوحِ إليه شيئاً، وشدة تحريمه.

المطلب السادس: الصّدْف عن آيات الله، وبيان، وتحت أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نص الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بالصّدْف عن آيات الله لغةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم الصّدْف عن آيات الله، وشدة تحريمه.

المطلب السابع: الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وبيان، وتحت أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بالإعراض عن آيات الله لغّةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وشدة تحريمه.

المطلب الثامن: التّكذيب بالحق، وبيانه، وتحتّه أربعة

فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بالحق لغّةً، وفي أقوال المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم التّكذيب بالحق، وشدة تحريمه.

المطلب التاسع: الكذب على الله والتّكذيب بالصدق،

وبيانه، وتحتّه أربعة فروع:

الفرع الأول: ذكر نصّ الآية.

الفرع الثاني: بيان المراد بالكذب على الله والتّكذيب بالصدق لغّةً، وفي أقوال

المفسرين.

الفرع الثالث: شرح الآية.

الفرع الرابع: بيان حكم الكذب على الله والتّكذيب بالصدق، وشدة تحريمه.

الخاتمة: وفيها أهمّ النتائج.

منهج البحث:

لقد تمّت الكتابة بحمد الله في هذا البحث وفق المنهج التالي:

١. راعيتُ عند الكلام على الآيات التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ ترتيب المصحف إلا فيما لا بد منه.
 ٢. ذكرتُ نص الآية أو الآيات كاملاً، مع عزوها إلى سورها داخل المتن.
 ٣. أفردتُ الذنب الذي ذكره الله بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ بالشرح والبيان التفصيلي من حيث اللغة وفي أقوال المفسرين؛ لأنه المقصود بالبحث.
 ٤. شرحتُ الآيات كلها التي ورد فيها ذلك شرحاً إجمالياً، ليتضح المعنى للقارئ، معتمداً على كلام أئمة التفسير في ذلك.
 ٥. خرّجتُ الأحاديث الواردة في البحث من كتب السنة المعتمدة، مع بيان من صححها من أهل العلم، ما لم تكن في الصحيحين، أو أحدهما فأكتفي بتخرجه.
 ٦. خرّجتُ الآثار الواردة في البحث.
 ٧. ترجمتُ للأعلام الواردة في البحث، ما لم تكن مشهورة.
 ٨. وثّقتُ ما أورده من أقوال أهل العلم، أو تعريفاتهم، أو النقول عنهم بعزوها إلى مصادرها.
 ٩. شرحتُ الكلمات التي تحتاج إلى بيان وإيضاح.
 ١٠. علّقتُ على ما يحتاج إلى تعليق.
 ١١. ذيلتُ البحث بفهرس للمصادر وفهرس للموضوعات.
- هذا والله أسأل أن يكون عملي صالحاً، ولوجه ربي خالصاً، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول

تعريف الظلم وبيان أنواعه، والنصوص الواردة في التحذير
منه، وذكر أقوال أهل العلم في توجيه قوله:
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الظلم لغةً، واصطلاحًا.

المطلب الثاني: بيان أنواع الظلم.

المطلب الثالث: النصوص الواردة في التحذير من الظلم.

المطلب الرابع: أقوال أهل العلم في توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

المطلب الأول: تعريف الظلم لغةً واصطلاحاً

الظلم لغةً:

الظاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما: خلاف الضياء والنور، والآخر: وَضَعُ الشيء غير في موضعه تعدياً.

فالأول: الظلمة، والجمع ظلمات ...، والأصل الآخر: ظَلَمَهُ يَظْلِمُهُ ظُلْمًا وَمَظْلَمَةً، وأصله: وضع الشيء في غير موضعه، ومنه قولهم: «من أشبه أباه فما ظلم»؛ أي: ما وضع الشبه غير موضعه، وقيل: أصل الظلم: الجور ومجاوزة الحد، ويقال: تَظَلَّمَ منه؛ أي: شكا من ظلمه فهو متظلم؛ أي: يشكو رجلاً ظلمه^(١).

الظلم اصطلاحاً:

عرّفه الراغب الأصفهاني^(٢) بأنه: (وَضَعُ الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه)^(٣).

وعرّفه الجرجاني بأنه: (هو عبارة عن التعدي عن الحق إلى الباطل؛ وهو الجور، وقيل: هو التصرف في ملك الغير، ومجاوزة الحد)^(٤).

وعرّفه الحافظ ابن حجر بأنه: (وضع الشيء في غير موضعه الشرعي)^(٥).

(١) انظر: «الصحاح» (١٩٧٧/٥)، و«مقاييس اللغة» (٤٦٨/٣)، و«المفردات» ص (٥٣٨)، و«لسان العرب» (٢٧٥٦/٤) مادة (ظلم).

(٢) هو: الحسين بن محمد بن الفضل، الراغب الأصفهاني، كان من الأدباء والأدكياء، له: «المفردات في غريب القرآن»، و«محاضرات الأدباء»، و«جامع التفسير»، اختلف في تاريخ وفاته: فقيل: (٥٠٢هـ)، وقيل قبل ذلك. انظر: «السير» (١٢٠/١٨)، و«طبقات المفسرين» للداودي (٣٢٩/٢)، و«الأعلام» (٢٥٥/٢).

(٣) «المفردات» ص (٥٣٨).

(٤) «التعريفات للجرجاني» ص (١٤٤).

(٥) «فتح الباري» (٩٥/٥).

المطلب الثاني: بيان أنواع الظلم

الظلم: ثلاثة أنواع؛ كما جاء في الحديث الذي رواه أبو داود الطيالسي والبخاري وأبو نعيم بسند حسن عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «الظلم ثلاثة: فظلم لا يتركه الله، وظلم يُغفر، وظلم لا يُغفر، فأما الظلم الذي لا يُغفر: فالشرك لا يغفره الله، وأما الظلم الذي يُغفر: فظلم العبد فيما بينه وبين ربه، وأما الظلم الذي لا يُترك: فظلم العباد، فيقتص الله بعضهم من بعض»^(١).

وقد ذكر جمع من أهل العلم أن أنواع الظلم ثلاثة^(٢)، ولعله والله أعلم اعتماداً منهم على هذا الحديث، وما في معناه، وأكثر من رأيته توسع في ضرب أمثلة لهذه الأنواع من كتاب الله عند ذكره لها: الأصبهاني في «المفردات في غريب القرآن» حيث قال **رَحِمَهُ اللَّهُ**: «النوع الأول: ظلم بين الإنسان وبين الله تعالى، وأعظمه: الكفر والشرك والنفاق، ولذلك قال: ﴿إِنَّ الشَّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لِقَبَاتٍ: ١٣]، وإياه قصد بقوله: ﴿لَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هُود: ١٨]، وقوله: ﴿وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الإنسان: ٣١]، في آي كثيرة، وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ [الزُّمَرِ: ٣٢]، وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام: ٢١].

النوع الثاني: ظلم بينه وبين الناس، وإياه قصد بقوله: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [الشُّورَى: ٤٠]، وبقوله: ﴿إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ

(١) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٥٧٩/٢) ح (٢٢٢٣)، والبخاري في «مسنده» (١١٥/١٣) ح (٦٤٩٣)، وأبو نعيم في الحلية (٣٠٩/٦)، وحسن إسناده الألباني في «الصحيحة» ح (١٩٢٧).

(٢) منهم على سبيل المثال: شيخ الإسلام ابن تيمية في «الإيمان» ص (٦٧)، وابن القيم في «طريق المهجرتين وباب السعادتين» ص (١٨٩)، والمناوي في «التيسير بشرح الجامع الصغير» (١٢٤/٢)، والشيخ سليمان في «تيسير العزيز الحميد» ص (٤٩)، والشيخ صالح الفوزان في «إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد» (٥٧/١).

المطلب الثالث: النصوص الواردة في التحذير من

الظُّلم

لقد تعددت وتنوعت نصوص القرآن والسنة الدالة على تحريم الظُّلم، وحذرت منه أشدَّ التحذير، كما سيأتي بيان ذلك، إلا أنه يحسن قبل إيرادها التنبيه على أمور مهمة:

الأول: أن الكثرة الكاثرة من نصوص القرآن هي في نوع الظُّلم المشتمل على الأعمال الكفرية المخرجة من الملة.

الثاني: أن تحريم الظُّلم في القرآن جاء بصور متعددة، فتارة بتحريم الظُّلم، وتارة بوصف بعض الأعمال بأنها ظلم، أو أن من فعلها من الظالمين، وتارة ببيان جزاء الظالمين، وتارة بلعن الظالمين، وتارة بنفي الفلاح عن الظالمين، وتارة بإخبار الله عن عدم محبته للظالمين، وعدم غفلته عنهم، وتارة بغير ذلك^(١).

الثالث: أن نصوص السُّنة التي سأوردها هي في ظلم العبد لنفسه وظلمه لغيره دون الظُّلم الذي هو كفر مخرج من الملة.

الرابع: أنني لم أقتصر فيما أوردته من النصوص في تحريم الظُّلم على الظُّلم الذي هو موضوع البحث والذي هو كفر، وإنما أوردت ما يعم جميع أنواع الظُّلم رغبةً في إفادة القارئ وجمع النصوص الواردة في ذلك في مكان واحد.

وإليك ذكر النصوص الواردة في تحريم الظُّلم:

(١) وقد أتت ذلك عند إيراد نصوص القرآن في تحريم الظلم فيما سيأتي قريباً، ولم أقتصر على النصوص التي فيها تحريم الظلم فقط.

أولاً: ذكر النصوص الواردة في تحريم الظلم في كتاب الله:

نظراً لكثرة النصوص الواردة في الظلم في القرآن فسأقتصر على بعضها فمن ذلك:

(١) قال تعالى: ﴿فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩].

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرُونَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

(٣) قال تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣].

(٤) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

(٥) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٧].

(٦) قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَائِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٤٥].

(٧) قال تعالى: ﴿هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٤٧].

(٨) قال تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

(٩) قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

(١٠) قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٥].

(١١) قال تعالى: ﴿وَآخِذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَدَابِ بَعِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الإنسان: ١٦٥].

المعجم في بيان الآيات التي قال فيها ربنا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾

(١٢) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [يونس: ٥٢].

(١٣) قال تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

(١٤) قال تعالى: ﴿ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [إبراهيم: ٢٢].

(١٥) قال تعالى: ﴿ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

(١٦) قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهُ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴾ [إبراهيم: ٤٢].

(١٧) قال تعالى: ﴿ وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ [النجم: ٨٥].

(١٨) قال تعالى: ﴿ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثًا ﴾ [جاثية: ٧٢].

(١٩) قال تعالى: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ [طه: ١١١].

(٢٠) قال تعالى: ﴿ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

(٢١) قال تعالى: ﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴾ [الزمر: ٥٧].

(٢٢) قال تعالى: ﴿ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [القسم: ١١].

(٢٣) قال تعالى: ﴿ وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾ [سجدة: ٤٢].

(٢٤) قال تعالى: ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾ [حاقة: ٥٢].

(٢٥) قال تعالى: ﴿ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴾ [الشورى: ٤٥].

فسفكوا دماءهم، واستحلوا محارمهم»^(١).

٥) ما رواه مسلم عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ**؛ أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «المسلم أخو المسلم؛ لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ههنا» - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، وماله، وعرضه»^(٢).

٦) ما رواه البخاري ومسلم عن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «إن الله ليملي للظالم، حتى إذا أخذه لم يفلته»، ثم قرأ: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]^(٣).

٧) ما رواه البخاري ومسلم عن ابن عباس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** أن رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** بعث معاذًا إلى اليمن فقال: «واتق دعوة المظلوم؛ فإنه ليس بينها وبين الله حجاب»^(٤).

٨) ما رواه الحاكم عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تصعد إلى السماء كأنها شرارة»^(٥).

(١) أخرجه ابن حبان في «صحيحه» (١٤١/١٤) ح (٦٢٤٨)، والحاكم في «مستدرکه» (٥٦/١) ح (٢٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٣١/٢).

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» (١٩٨٦/٤) ح (٢٥٦٤) كتاب البر والصلة والآداب، باب كل المسلم على المسلم حرام.

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١٧٢٦/٤) ح (٤٤٠٩) كتاب التفسير، سورة هود، باب قوله: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرْآنَ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾، ومسلم في «صحيحه» (١٩٩٧/٤) ح (٢٥٨٣) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٥٤٤/٢) ح (١٤٢٥) كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا، ومسلم في «صحيحه» (٥٠/١) ح (١٩) كتاب الإيثار، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

(٥) الشرارة: واحدة الشرر، والشرر: ما تطاير من النار في الهواء، شَبَّهَ سرعة صعودها بسرعة طيران الشرر من النار، **انظر**: «فيض القدير» (١٤٢/١)، والحديث أخرجه الحاكم في «مستدرکه» (٨٣/١) ح (٨١) وقال: (قد احتج مسلم بعاصم بن كليب والباقون من رواة هذا الحديث متفق على الاحتجاج بهم ولم يخرجاه)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٣٤/٢).

(٩) ما رواه الطبراني في «الكبير» والخرائطي في «مكارم الأخلاق» عن خزيمة بن ثابت **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** (١) قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «اتقوا دعوة المظلوم؛ فإنها تحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» (٢).

(١٠) ما رواه الإمام أحمد والترمذي وأبو داود عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «ثلاث دعوات لا شك في إجابتهن: دعوة المظلوم، ودعوة المسافر، ودعوة الوالد على الولد» (٣).

(١١) ما رواه أبو داود الطيالسي في مسنده، وابن أبي شيبة في مصنفه، والإمام أحمد عن أبي هريرة **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «دعوة المظلوم مستجابة، وإن كان فاجراً فنجوره على نفسه» (٤).

(١) هو: صاحب رسول الله خزيمة بن ثابت بن الفاكه - بكسر الكاف - ابن ثعلبة بن ساعدة بن عامر بن غيَّان - بالمعجمة والتحتانية، وقيل بالمهملة والنون - ابن عامر الأنصاري الأوسي ثم الخطمي، من أشرف الأوس في الجاهلية والإسلام، ومن شجعانهم المقدمين، وكان من سكان المدينة، وحمل راية بني خطمة من الأوس يوم فتح مكة، وعاش إلى خلافة علي بن أبي طالب، وشهد معه صفين، فقتل فيها، روى له البخاري ومسلم وغيرهما (٣٨) حديثاً، مات سنة (٣٧هـ)، **انظر**: «الإصابة في تمييز الصحابة» (٢/٢٣٩)، و«الأعلام» للزركلي (٢/٣٠٥).

(٢) أخرجه الطبراني في «الكبير» (٤/٨٤) ح (٣٧١٨)، وفي «الدعاء» له (١/٣٩٢) ح (١٣١٧)، وأبو بكر الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (١/٢٨٠) ح (٥٩٨)، والحديث حسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/٥٣٥).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٢/٤٧٩) ح (٧٥١٠)، والترمذي في «سننه» (٤/٣١٤) ح (١٩٠٥) كتاب البر والصلة، باب دعوة الوالدين، وأبو داود في «سننه» (١/٥٦٣) ح (١٥٣٨) كتاب الوتر، باب الدعاء بظهر الغيب مع تقديم وتأخير، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٥٣٤).

(٤) أخرجه أبو داود الطيالسي في «مسنده» (٤/٩٣) ح (٢٤٥٠)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٠/٢٧٥) ح (٢٩٩٨٧)، والإمام أحمد في «مسنده» (١٤/٢٧٥) ح (٨٧٩٥) والحديث حسنه المنذري وحسنه لغيره الألباني. **انظر**: «صحيح الترغيب» (٢/٥٣٥).

(١٢) ما رواه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرض أو من شيء، فليتحلله منه اليوم، من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح؛ أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات؛ أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»^(١).

(١٣) ما رواه الإمام أحمد ومسلم عن أبي هريرة أيضًا؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «أتدرون ما المفلس؟»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: «إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه؛ أخذ من خطاياهم، فطرح عليه، ثم طرح في النار»^(٢).

(١٤) ما رواه الحاكم عن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «تُرفع للرجل صحيفة يوم القيامة، حتى يرى أنه ناجٍ، فما تزال مظالم بني آدم تتبعه حتى ما تبقى له حسنة، ويزاد عليه من سيئاتهم»^(٣).

(١٥) ما رواه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» والطبراني في «الأوسط» عن أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صنفان من أمتي لا تنالهما

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٨٦٥) ح (٢٣١٧) كتاب المظالم، باب من كانت له مظلمة عند الرجل فحللها له هل يبين مظلمته.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في «مسنده» (١٣/ ٣٩٩) ح (٨٠٢٩)، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ١٩٩٧) ح (٢٥٨١) كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم.

(٣) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢/ ٤٥) ح (٢٢٦٨) وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في «الصحيحه» ح (٣٣٧٣).

شفاعتي: إمام ظلوم غشوم^(١)، وكل غالٍ مارق^(٢).

(١٦) ما رواه الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «إن الشيطان قد يئس أن تُعبد الأصنام في أرض العرب، ولكنه سيرضى منكم بدون ذلك بالمحقرات، وهي الموبقات يوم القيامة، اتقوا الظلم ما استطعتم؛ فإن العبد يجيء بالحسنات يوم القيامة يرى أنها ستنجيه، فما زال عبد يقوم يقول: يا رب ظلمي عبدك مظلمة. فيقول: احوا من حسناته، وما يزال كذلك حتى ما يبقى له حسنة^(٣)».

(١٧) ما رواه البخاري عن أنس **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** قال: قال رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً»، فقال رجل: يا رسول الله! أنصره إذا كان مظلوماً، أفرأيت إن كان ظالماً، كيف أنصره؟ قال: «تجزه أو تمنعه عن الظلم، فإن ذلك نصره^(٤)».

(١٨) ما رواه الطحاوي في «مشكل الآثار» عن عبد الله بن مسعود **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** عن النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** قال: «أمر بعبدٍ من عباد الله يُضرب في قبره مئة جلدة، فلم

(١) أي: جافٍ غليظ قاسي القلب ذو عنف وشدة. **انظر**: «التيسير بشرح الجامع الصغير» (٩٤/٢).

(٢) الغال: من الغلو؛ أي: تجاوز الحد المشروع في أمر الدين، والمارق: مأخوذ من مرق السهم من الرمية إذا نفذها، أي: خارج بغلوه من الدين مع أنه باق على الإسلام إلا أنه بغلوه صار كالخارج عنه. **انظر**: «التنوير شرح الجامع الصغير» (٦٠٩/٦).

والحديث أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» ص (٢٨٦) ح (٦١٢)، والطبراني في «الأوسط» (١/٢٠٠) ح (٦٤٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٣٢/٢).

(٣) أخرجه أبو يعلى في «مسنده» (٥٧/٩) ح (٥١٢٢)، والحاكم في المستدرک (٣٢/٢) ح (٢٢٢١) وقال: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤٥٥/٥) ح (٧٢٦٣)، وصححه أيضاً الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٣٢/٢).

(٤) أخرجه البخاري في «صحيحه» (٨٦٣/٢) ح (٢٣١٢) كتاب المظالم، باب أعن أخاك ظالماً أو مظلوماً.

يزل يسأل ويدعو حتى صارت جلدة واحدة، فامتلاً قبره عليه ناراً، فلما ارتفع وأفاق قال: على ما جلدتموني؟ قال: إنك صليت صلاة بغير طهور، ومررت على مظلوم فلم تنصره»^(١).

(١) أخرجه الطحاوي في «شرح معاني الآثار» (٨/ ٢١٢) ح (٣١٨٥)، وحسنه لغيره الألباني في «صحيح الترغيب» (٢/ ٥٣٧).

المطلب الرابع: أتوال أهلك العلم في توجيه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

لقد ورد قوله تعالى: ﴿مَنْ أَظْلَمُ﴾ في خمس عشرة آية؛ في عشر منها سُبقت بالواو ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وفي خمس منها سبقت بالفاء ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾.

وقبل ذكر أجوبة المفسرين في توجيهها أسوق كلام أبي حيان في ذكر إعراب هذه اللفظة ومعناها والإشكال الناشئ من ذلك، وهو توهم التعارض بينها حتى يتضح وجه الإشكال فيها:

يقول أبو حيان **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسيره: (... ﴿مَنْ﴾: استفهام، وهو مرفوع بالابتداء، و﴿أَظْلَمُ﴾: أفعل تفضيل، وهو خبر عن ﴿مَنْ﴾، ولا يراد بالاستفهام هنا حقيقته، وإنما هو بمعنى النفي، كما قال تعالى: ﴿فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ [الْخَقَافَ: ٣٥]؛ أي: ما يهلك، ومعنى هذا: لا أحد أظلم ممن منع، وقد تكرر هذا اللفظ في القرآن، وهذا أول موارد^(١)، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الْاِنْتِجَالُ: ٢١]، وقال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بَيِّنَاتٍ لِلَّهِ﴾ [الْاِنْتِجَالُ: ١٥٧]، ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بَيِّنَاتٍ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا﴾ [الْكَهْفُ: ٥٧]، إلى غير ذلك من الآيات، ولمّا كان هذا الاستفهام معناه النفي كان خبراً، ولمّا كان خبراً توهم بعض الناس أنه إذا أخذت هذه الآيات على ظواهرها، سبق إلى ذهنه التناقض فيها؛ لأنه قال المتأول في هذا: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، وقال في أخرى: لا أحد أظلم ممن افترى، وفي أخرى: لا أحد أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها^(٢).

إذا تقرر هذا، فقد أجاب المفسرون عن ذلك، وبعد التبع لكلامهم تبين أن

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا أَسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [الْبَقَرَةُ: ١١٤].

(٢) «البحر المحيط» (١/٥٧١).

أجوبتهم تنحصر في خمسة أجوبة^(١)، وهي كالتالي:

الأول: منها تخصيص كل موضع بمعنى صلته^(٢)؛ أي: لا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المفترين أظلم ممن افتري على الله كذبًا، وإذا تَخَصَّصَتْ بِصِلَاتِهَا زَالَ الْإِشْكَالُ.

الثاني: أن التخصيص بالنسبة إلى السَّبَقِ؛ أي لَمَّا لم يسبقهم أحد إلى مثله حكم عليهم بأنهم أظلم ممن جاء بعدهم سالكًا طريقهم.

قلت: في هذا نظر؛ لأنه يحصر الظلم بأول من فعله، وأما من فعله بعده فلا ينطبق عليه هذا الظلم، وهذا تخصيص للنص بلا مخصص، ثم لا يزول به الإشكال بل يبقى قائمًا أي: أول هؤلاء أعظم ظلمًا.

الثالث: أن نفي التفضيل لا يستلزم نفي المساواة، فلم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنهم يتساوون في الأظلمية، فيصير المعنى: لا أحد أظلم ممن منع مساجد الله، ومن افتري على الله كذبًا، ومن كذب بآيات الله، ولا إشكال في

(١) انظر: «البحر المحيط» (٥٧٢/١)، و«البرهان في علوم القرآن» للزركشي (٧٤/٤)، و«الإتقان في علوم القرآن» (١٤٨٢/٤)، و«تفسير اللباب» ص (٣٥٥)، و«تفسير الألويسي» (٣٦٢/١)، و«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣١٠/٣)، و«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ص (٢١).

(٢) قال الأمين الشنقيطي رَحِمَهُ اللهُ فِي «العذب النمير» (٥١٣/١): «ومعنى (تَخَصَّصَتْ بِصِلَاتِهَا): أن كل واحد منها تفسره صلة موصولة، فيكون المعنى هنا: لا أحد من المفترين أظلم ممن افتري على الله كذبًا، ولا أحد من المانعين أظلم ممن منع مساجد الله، ولا أحد من المعرضين أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها، إلى آخره».

وعبر عنه العلامة ابن عثيمين في «تفسير سورة الكهف» ص (٢٩) بقوله: (إنها اسم تفضيل في نفس المعنى الذي وردت به... فتكون الأظلمية هنا - بالنسبة للمعنى الذي سبقت فيه - ليست أظلمية مطلقة؛ لأنها لو كانت أظلمية مطلقًا لكان فيه نوع من التناقض)، وفي ص (١٠٢) عبر عنه بقوله: (أن الأفضلية باعتبار ما شاركه في أصل المعنى).

تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحدهم أظلم من الآخر، كما إذا قلت: لا أحد أفقه من فلان وفلان مثلاً^(١).

قلت: وفيه نظر؛ لأنه خلاف ظاهر القرآن، وينتقض بما لو جمع واحد من الناس بين أكثر من ذنب من هذه الذنوب، فلا شك أنه أظلم ممن اقتصر على واحد منها.

الرابع: أن الاستفهام في قوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ المقصود منه التهويل والتفطيع من غير قصد إثبات الأظلمية للمذكور حقيقة ولا نفيها عن غيره، وهذا القول ضعفه العلامة الشنقيطي بقوله: «يظهر ضعفه لأنه خلاف ظاهر القرآن»^(٢).

الخامس: أنها كلها مشتركة في الأظلمية وفي مستوى واحد، قال العلامة ابن عثيمين: «وفيه نظر؛ لأنه لا يمكن أن نقول: إن من ذُكِرَ بآيات ربه فأعرض عنها أنه يساوي من افتري على الله كذباً، أو مَنْ منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه يساوي

(١) «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ص (٢١).

(٢) هذانص ما ذكره الأمين الشنقيطي في «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» ص (٢١) تلخيصاً لقول أبي حيان في «تفسيره» (١/٥٢٧)، واخترته لقصر عبارته ووضوحها وسهولتها، ونصه عند أبي حيان: (هذا نفي للأظلمية، ونفي الأظلمية لا يستدعي نفي الظالمية؛ لأن نفي المقيد لا يدل على نفي المطلق، لو قلت: ما في الدار رجل ظريف، لم يدل ذلك على نفي مطلق رجل، وإذا لم يدل على نفي الظالمية لم يكن تناقضاً، لأن فيها إثبات التسوية في الأظلمية، وإذا ثبتت التسوية في الأظلمية لم يكن أحد ممن وصف بذلك يزيد على الآخر؛ لأنهم يتساوون في الأظلمية، وصار المعنى: لا أحد أظلم ممن منع، وممن افتري، وممن ذُكِر، ولا إشكال في تساوي هؤلاء في الأظلمية، ولا يدل على أن أحد هؤلاء أظلم من الآخر، كما أنك إذا قلت: لا أحد أفقه من زيد وعمرو وخالد، لا يدل على أن أحدهم أفقه من الآخر، بل نفي أن يكون أحد أفقه منهم، لا يقال: إن من منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، وسعى في خرابها، ولم يفتر على الله الكذب، أقل ظلماً ممن جمع بينهما، فلا يكون مساوياً في الأظلمية، لأن هذه الآيات كلها إنما هي في الكفار، فهم متساوون في الأظلمية، وإن اختلفت طرق الأظلمية، فكلها صائرة إلى الكفر، فهو شيء واحد لا يمكن فيه الزيادة بالنسبة لأفراد من اتصف به، وإنما تمكن الزيادة في الظلم بالنسبة لهم، وللعصاة المؤمنين بجامع ما اشتركوا فيه من المخالفة، فنقول: الكافر أظلم من المؤمن، ونقول: لا أحد أظلم من الكافر، ومعناه: أن ظلم الكافر يزيد على ظلم غيره).

من كذب على الله، ونحو ذلك»^(١).

الترجيح: بعد النظر في هذه الأقوال، وما أُورد عليها من تعقب يترجح القول الأول، وهو أنه لا أظلم منه في بابه والنوع الذي هو منه، لأنه القول الذي يسلم من الاعتراض، ومما يؤكد ذلك أنه لو جمع شخصٌ واحدٌ بين عدة ذنوب من هذه الذنوب فإنه يكون أشدَّ ظلمًا ممن اقتصر على واحد منها، فمثلاً: من جمع بين افتراء الكذب على الله والتكذيب بالحق، وكتُم الشهادة التي عنده من الله، ومنع المساجد من ذكر الله والسعي في خرابها، لا شك أنه أشدَّ ظلمًا ممن فعل واحداً منها.

(١) انظر: «تفسير سورة الكهف» للعثيمين ص(١٠٢).

المبحث الثاني

في ذكر الذنوب التي قال الله فيها
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وبيانها

وفيه تسعة مطالب:

المطلب الأول: منع المساجد من ذكر اسم الله فيها والسعي في خرابها، وبيانها.

المطلب الثاني: كتم الشهادة من الله، وبيانها.

المطلب الثالث: افتراء الكذب على الله، وبيانها.

المطلب الرابع: التكذيب بآيات الله، وبيانها.

المطلب الخامس: ادّعاء أحد أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء، وبيانها.

المطلب السادس: الصّدْف عن آيات الله، وبيانها.

المطلب السابع: الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وبيانها.

المطلب الثامن: التكذيب بالحق، وبيانها.

المطلب التاسع: الكذب على الله والتكذيب بالصدق، وبيانها.

المطلب الأول: منع المساجد من ذكر اسم الله فيها والسعي في خرابها، وبيانها.

وتحتة أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ۗ أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

الفرع الثاني: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها لغة، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

المنع لغة:

المنع هو: أن تحول بين الرجل وبين الشيء الذي يريده، وهو خلاف الإعطاء، وقيل هو تحجير الشيء يقال: منعه يمنعه منعاً ومنعه فامتنع منه وتمنع، ورجل ممنوع ومانع ومناع: ضنين ممسك، ومنه قوله تعالى: ﴿مَنَاعٌ لِلْخَيْرِ مُعَدِّ مَرِيْبٍ﴾ [قت: ٢٥]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ [العنكب: ٢١]، ورجل منيع: لا يخلص إليه في قوم مُنَعَاءٍ، والاسم: المَنَعَةُ والمُنْعَةُ والمِنْعَةُ، ورجل مَنُوع: يمنع غيره، ورجل منع: يمنع نفسه، والمَنِيْعُ أيضاً الممتنع، والمَنُوعُ الذي منع غيره^(١).

المساجد لغة:

المساجد: جمع مسجد، يقال: سجد سجوداً؛ خضع وتطامن ووضع جبهته على الأرض فهو ساجد، ويقال: أسجد الرجل؛ إذا طأ رأسه وانحنى، وسجد إذا

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ١٤)، «لسان العرب» (٦/ ٤٢٧٦) مادة: (منع).

وضع جبهته بالأرض.

وقال الليث^(١): السجود: مواضعه من الجسد والأرض، مساجد: واحدها: مسجد، والمسجد: اسم جامع حيث يُسجد عليه، وفيه، وحيث لا يسجد بعد أن يكون اتخذ لذلك، فأما المسجد من الأرض: فموضع السجود نفسه.

وقال ابن الأعرابي^(٢): مسجد - بفتح الجيم - : محراب البيوت، ومُصَلَّى الجماعات: مسجد - بكسر الجيم، والمساجد: جمعها، والمساجد أيضاً: الأراب التي يُسجد عليها. ويقال: سجد سجدةً، وما أحسن سجده؛ أي: هيئة سجوده.

وقال الزجاج^(٣): قيل المساجد: مواضع السجود من الإنسان؛ الجبهة، والأنف، واليدان، والركبتان والرجلان، ونحو ذلك^(٤).

(١) هو: الليث بن مظفر هكذا سماه الأزهري، وقيل: الليث بن نصر بن يسار الخراساني، وقيل: الليث بن رافع بن نصر بن يسار، قال الأزهري: كان رجلاً صالحاً انتحل كتاب «العين» للخليل لينفق كتابه باسمه، ويرغب فيه، روى عنه قتيبة بن سعيد، وعنه أنه قال: ما تركت شيئاً من فنون العلم إلا نظرت فيه إلا النجوم، لأنني رأيت العلماء يكرهونه، قال ابن المعتز: كان من أكتب الناس في زمانه بارعاً في الأدب بصيراً بالشعر والغريب والنحو، وكان كاتباً للبرامكة لم أقف له على سنة وفاة، لكنه كان موجوداً في آخر القرن الثاني. **انظر:** «بغية الوعاة» (٢/ ٢٧٠)، و«معجم الأدباء» (٥/ ٢٢٥٣).

(٢) هو: محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي، أبو عبد الله، ولد سنة (١٥٠هـ)، وكان راوية، نسابة، عالم باللغة والأدب، قال ثعلب: شأهت مجلس ابن الأعرابي وكان يحضره زهاء مئة إنسان، كان يسأل ويقرأ عليه، فيجيب من غير كتاب، ولزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط، له عدة مصنفات هامة مات سنة (٢٣١هـ). **انظر:** «تاريخ بغداد» (٥/ ٢٨٢)، و«فيات الأعيان» (١/ ٤٩٢)، و«الأعلام» (٦/ ١٣١).

(٣) هو: إبراهيم بن السري بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، عالم بالنحو واللغة، ولد في بغداد سنة (٢٤١هـ)، كان في فتوته يخرط الزجاج، ومال إلى النحو فعلمه إياه المبرد، من كتبه: «معاني القرآن»، و«الاشتقاق»، و«إعراب القرآن»، مات سنة (٣١١هـ). **انظر:** «الأعلام» للزركلي (١/ ٤٠).

(٤) **انظر:** «تهذيب اللغة» (١٠/ ٣٠٠)، و«لسان العرب» (٣/ ١٩٤٠)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٤١٦) مادة: (سجد).

قلت: ويتلخص مما سبق أن المساجد جمع: مسجد - بكسر الجيم وقيل بفتحها -: وهو كل موضع تُعبدُ لله بالصلاة فيه، مأخوذٌ من السجود؛ وهو وضع الجبهة على الأرض خضوعاً لله وتعظيماً له، قال الحسن: «كل موضع سُجد فيه فهو مسجد»^(١).

قلت: ويدل عليه قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** في الحديث المتفق عليه: «وَجَعَلْتُ لِي الْأَرْضَ مَسْجِدًا وَطَهْرًا، وَإِنَّمَا رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتَهُ الصَّلَاةُ فَلْيَصِلْ»^(٢). وإضافة المساجد إلى الله في الآية إضافة تشریف^(٣).

السَّعْيُ لُغَةً:

السَّعْيُ: مأخوذ من سَعَى الرجل يَسْعَى سَعْيًا؛ أي: عدا، وكذلك إذا عمل وكسب، وكل من وِلَى شيئاً على قوم فهو سَاعٍ عليهم، ويطلق السَّعْيُ على المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجِدِّ في الأمر، خيراً كان أو شراً، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البَقَّة: ١١٤]، وقوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ [الجَنَّة: ٨]، وأكثر ما يستعمل في الأفعال المحمودة، وقد سعى إلى المجد، وهو يسعى إلى الغاية، ويسعى على عياله: يكسب لهم، ويقوم بمصالحهم^(٤).

قلت: ويتلخص مما سبق: أن المعنى المناسب للسعي في الآية هو العمل الجاد من

(١) انظر: «تفسير الطبري» (٤٤١/٢)، و«التفسير الوسيط للقرآن الكريم» (١/٢٥٣)، و«البحر المحيط» (١٠/٣٠٠)، و«الدر المصون» (١/٥٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» (١/١٦٨) ح (٤٢٧) كتاب الصلاة، باب قول النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: «جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً» واللفظ له، ومسلم في «صحيحه» (١/٣٧٠) ح (٥٢١) كتاب المساجد ومواضع الصلاة أول باب فيه. وانظر: «اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان» (١/١٠٤).

(٣) انظر: تفسير «البحر المحيط» (١/٣٠٨).

(٤) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/٥٨)، و«الصحاح» (٦/٢٣٧٧)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٤١١)، و«لسان العرب» (٣/٢٠١٩) مادة: (سعى).

أهل الشر في منع بيوت الله من العبادة فيها.

الخراب لغة:

الخراب: مأخوذ من خَرَبَ المكان خراباً، وهو ضد العمارة، كما قال الله تعالى: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]، وقد أخربه، وخرَّبه، قال الليث: والخرِبُ: جمع الخَرَبَةِ، كالكلم جمع الكلمة، والفعل من كل ذلك: خَرَبَ يخرِب خراباً، وقد خرَّبه المخرَّبُ تخريباً، ويقال: خَرِبَ خَرَبًا وخراباً؛ تعطلَّ عن أن يؤتي منفعتَه، والمكان خلا^(١).

ثانياً: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها في أقوال المفسرين:

لقد اختلف المفسرون في المراد بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، والمراد بالمسجد الذي منع من ذكر الله فيه على أقوال:

الأول: قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢) ومجاهد^(٣): هم النصارى؛ والمسجد بيت المقدس^(٤).

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٧/ ١٥٤)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٢٧٧)، و«المعجم الوسيط» (١/ ٢٢٣) مادة (خرِب).

(٢) أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٢) من طريق عطية العوفي وهو طريق ضعيف كما قال أحمد شاكر وغيره. انظر: «تفسير الطبري» تحقيق أحمد شاكر (١/ ٢٦٣).

(٣) هو: مجاهد بن جبر - بفتح الجيم وسكون الباء - أبو الحجاج المخزومي مولا هم المكي، ثقة، إمام في التفسير وفي العلم، مات سنة إحدى أو اثنتين أو ثلاث أو أربع ومائة، وله ثلاث وثمانون سنة. انظر ترجمته في: «التقريب» ص (٩٢١).

وقوله أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٢) فهو موقوف على مجاهد، ومجاهد تابعي ولم يبين عمن أخذه، فهو منقطع، وأسباب النزول لها حكم الرفع، فلا بد أن يكون الراوي له صحابي ممن شاهدوا التنزيل.

(٤) وقد رجحه الطبري في «تفسيره» (٢/ ٤٤٤)، وتعقبه الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٥)، لكن السياق يرشِّح قول الطبري ويدل عليه، وبذلك تعقب أحمد شاكر ابن كثير في تعقبه للطبري. انظر: «تفسير الطبري» تحقيق أحمد شاكر (٢/ ٥٢٢) هامش (١).

الثاني: قال قتادة^(١) والسدي^(٢): هو بُخْتَنَصْرُ المَجُوسِي^(٣) وجنده ومن أعانهم من النصارى؛ والمسجد: مسجد بيت المقدس^(٤).

الثالث: قال ابن زيد^(٥): المراد كفار قريش حين صدوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن المسجد الحرام عام الحديبية^(٦)؛ والمسجد هو: المسجد الحرام.

(١) هو: قتادة بن دعامة بن قنادة السدوسي، أبو الخطاب البصري الضريع، ثقة ثبت، وكان من أوعية العلم والحفظ، رأساً في التفسير والحديث، توفي سنة (١١٨ هـ)، وقيل غير ذلك. انظر ترجمته في: «طبقات ابن سعد» (٢٢٩/٧)، و«سير أعلام النبلاء» (٢٦٩/٥)، و«التقريب» ص (٧٩٨).

(٢) هو: الإمام المفسر، إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي عريمة أبو محمد الحجازي، ثم الكوفي الأعور السدي، صدوق يهيم، ورمي بالشيعة، وعند إطلاق السدي ينصرف إليه دون السدي الصغير - وهو محمد بن مروان - مات سنة (١٢٧ هـ). انظر ترجمته «طبقات ابن سعد» (٣٢٣/٦)، و«تقريب» ص (١٤١)، «طبقات المفسرين» (١١٠/١).

(٣) هو: بُخْتَنَصْرُ ويقال: نُبوخذ نصر، وبُخت: ابن، ونَصْر: صنم، قيل إنه وُجد عند صنم ولم يُعرف له أب، فقيل هو: ابن الصنم. كان في خدمة بعض ملوك الفرس في زمن (زرادشت) مُدَّعي النبوة ومشروع دين المجوس، حكم بختنصر بابل (٦٠٥ - ٥٦٢) قبل الميلاد، سار إلى بيت المقدس (أورشليم) ودمرها وقتل بعض اليهود ونفى بعضهم الآخر، وهو ما يعرف عند اليهود بالأسر البابلي.

انظر: «تاريخ الأمم والملوك» للطبري (١/٥٣٤-٥٦٥)، «الكامل» لابن الأثير (١/١٧٥)، «المختصر في أخبار البشر» لأبي الفداء (١/٤٢)، «لسان العرب» (٦/٤٤٤١) مادة (نصر)، و«الموسوعة العربية الميسرة» (٢/١٨٢١).

(٤) قتادة والسدي تابعيان والقول في قولهما هذا هو ما قدمته قريباً في قول مجاهد

(٥) هو: عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم، صاحب قرآن وتفسير، جمع تفسيراً في مجلد، وكان ضعيفاً في الحديث، مات سنة (١٨٢ هـ). انظر ترجمته في: «سير أعلام النبلاء» (٨/٣٤٩)، و«التقريب» ص (٥٧٨).

وقوله أخرجه عنه الطبري في «تفسيره» (٢/٤٤٢)، وينطبق على قوله ما ذكرته عن قول مجاهد وقد تقدم قريباً.

(٦) اختاره ابن كثير في «تفسيره» (٢/٢٥)، وقد ذكر هذه الأقوال الطبري في «تفسيره» (٢/٤٤٢) وما بعدها، وابن عطية في «تفسيره» (١/١٩٩)، وثمة أقوال ذكرها بعض المفسرين لا تخرج عن معنى الأقوال المذكورة هنا أعرضت عنها.

الرابع: أن الآية عامة في كل من منع مسجداً من ذكر الله إلى يوم القيامة، وهو الراجح لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب^(١)، والأصل حمل الكلام على العموم إلا بدليل^(٢)، قال القرطبي مرجحاً هذا القول: (وهو الصحيح؛ لأن اللفظ عام ورد بصيغة الجمع، فتخصيصها ببعض المساجد وبعض الأشخاص ضعيف)^(٣).

وقال ابن عطية: هذه الآية تتناول كل مَنْ منع من مسجد إلى يوم القيامة أو خرب مدينة إسلام؛ لأنها مساجد، وإن لم تكن موقوفة، إذ الأرض كلها مسجد لهذه الأمة^(٤).

وقوله: ﴿ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ ﴾ [البقرة: ١١٤]؛ أي: منع مَنْ ذَكَرَ اسم الله فيها، والمنع: الحيلولة بين المرید ومراده^(٥)، وهو يشمل منع المساجد من ذكر الله مطلقاً، فيدخل فيه الصلاة وقراءة القرآن وسائر أنواع العبادات القولية والفعلية، قال أبو حيان: (وكنى بذكر اسم الله عما يوقع في المساجد من الصلوات والتقربات إلى الله تعالى بالأفعال القلبية والقالبية؛ من تلاوة كتابه، وحركات الجسم من القيام والركوع والسجود والقعود الذي تعبد به، أو إنما ذكر تعلق المنع بذكر اسم الله تنبيهاً على أنهم منعوا من أيسر الأشياء، وهو التلفظ باسم الله، فمنعهم لما سواه أولى)^(٦).

وقال الشوكاني: (والمراد بمنع المساجد أن يذكر فيها اسم الله: منع من يأتي إليها للصلاة والتلاوة والذكر وتعليمه، والمراد بالسعي في خرابها: هو السعي في هدمها ورفع بنيانها، ويجوز أن يراد بالخراب: تعطيلها عن الطاعات التي وضعت لها فيكون

(١) هذا لو صحت أسانيد الأقوال السابقة كيف وهي ضعيفة كما سبق.

(٢) انظر: «قواعد الترجيح عند المفسرين» (٢/١٦٦).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢/٧٧).

(٤) «تفسير ابن عطية» (١/١٩٩).

(٥) «تفسير السعدي» (١/٦٣).

(٦) «تفسير البحر المحيط» (١/٣٠٨).

أعم من قوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾، فيشمل جميع ما يمنع من الأمور التي بنيت لها المساجد، كتعلم العلم وتعليمه والقعود للاعتكاف وانتظار الصلاة، ويجوز أن يراد ما هو أعم من الأمرين من باب عموم المجاز^(١).

قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابَهَا﴾؛ السعي: هو العمل في خرابها، والخراب: ضد العمارة، وهو قسمان: حسيّ: وهو هدم بناء المساجد، ومعنوي: وهو منعها من ذكر الله، والآية تشمل القسمين، قال الشيخ السعدي: ﴿وَسَعَى﴾؛ أي: اجتهد وبذل وسعه ﴿فِي خَرَابَهَا﴾ الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقديرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام لكل من اتصف بهذه الصفة، فيدخل في ذلك أصحاب الفيل، وقريش حين صدوا رسول الله عنها عام الحديبية، والنصارى حين أخرجوا بيت المقدس، وغيرهم من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادةً لله، ومشاقةً^(٢).

الفرع الثالث: شرح الآية:

يبين الله **جَلَّ وَعَلَا** في هذه الآية الكريمة عِظَمَ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ الْمَسَاجِدَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ، فيقول: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾؛ أي: لا أحد أظلم وأشدَّ جُرْمًا في باب المنع ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات^(٣).

قال الطبري في «تفسيره»: (وَأَيُّ امْرِئٍ أَشَدَّ تَعَدُّيًا وَجَرَاءَةً عَلَى اللَّهِ وَخِلَافًا لِأَمْرِهِ مِنْ امْرِئٍ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يَعْبُدَ اللَّهُ فِيهَا؟)^(٤)

(١) «تفسير فتح القدير» (١/ ١٣١).

(٢) «تفسير السعدي» (١/ ٦٣).

(٣) «البحر المحيط» (١/ ٥٢٤).

(٤) «تفسير الطبري» (٢/ ٤٤١).

المُعَامَ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

وهذا الوعيد الشديد عام في حق كل من منع مسجداً من ذكر الله إلى يوم القيامة.

وقوله: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾؛ أي: منع من ذكر اسم الله فيها، وهذا يشمل ذكر

الله مطلقاً، فيدخل فيه الصلاة وقراءة القرآن وسائر أنواع العبادات القولية والفعلية.

قوله: ﴿وَسَعَى فِي خَرَابِهَا﴾؛ أي: عمل على تخريبها سواء كان تخريباً حسياً بهدمها

وإزالتها وتدميرها، أو كان معنوياً، وهو منعها من ذكر الله، أو كلاهما؛ والآية تشمل

الجميع، وأما إذا كان المنع لمصلحة راجحة، فيجوز ذلك بل قد يكون مطلوباً، قال

شيخنا العلامة ابن عثيمين في ذكر الفوائد المستنبطة من الآية: (جواز منع دخول

المساجد لمصلحة؛ لقوله تعالى: ﴿أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾؛ ومنع مساجد الله له أسباب:

فتارة تُمنع المساجد من أن تُمتن فرشها، أو أرضها، أو كتبها، أو مصاحفها؛ فتغلق

الأبواب حماية لها؛ وتارة تُغلق أبوابها خوفاً من الفتنة، كما لو اجتمع فيها قوم لإثارة

الفتن، والتشويش على العامة؛ فتغلق منعاً لهؤلاء من الاجتماع؛ وتارة تُغلق لترميمها،

وإصلاحها؛ وتارة تُغلق خوفاً من سرقة ما فيها؛ ففي كل هذه الصور إغلاقها مباح،

أو مطلوب^(١).

قوله: ﴿أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾: هذا خبرٌ من الله

يتضمن الأمر لأهل الإسلام بمنع الكفار من دخول المساجد، وأتى باسم الإشارة

﴿أُولَئِكَ﴾ الدال على البعيد لبيان بُعد مكانتهم في الشر التي بلغوها، والجزاء

من جنس العمل فلما أخافوا المسلمين بهدم مساجدهم أو منعهم من العبادة فيها،

حُكم عليهم بأن لا يدخلوها إلا خائفين، قال الطبري: (وهذا خبرٌ من الله عزَّ وجلَّ

عمن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، أنه قد حرَّم عليهم دخول المساجد التي

سعوا في تخريبها ومنعوا عباد الله المؤمنين من ذكر الله عزَّ وجلَّ فيها ما داموا على مناصبة

(١) «تفسير سورة البقرة» لابن عثيمين (٢ / ٨).

الحرب إلا على خوف ووجل من العقوبة على دخولها) (١).

وقال الشوكاني: (أي: ما كان ينبغي لهم دخولها إلا حال خوفهم، وفيه إرشاد للعباد من الله عزَّ وجلَّ أنه ينبغي لهم أن يمنعوا مساجد الله من أهل الكفر، من غير فرق بين مسجدٍ ومسجد، وبين كافرٍ وكافر، كما يفيد عموم اللفظ، ولا ينافيه خصوص السبب، وأن يجعلوهم بحالة إذا أرادوا الدخول كانوا على وجل وخوف من أن يفتن لهم أحد من المسلمين فيُنزلون بهم ما يوجب الإهانة والإذلال، وليس فيه الإذن لنا بتمكينهم من ذلك حال خوفهم، بل هو كناية عن المنع لهم منَّا عن دخول مساجدنا) (٢).

قوله: ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾؛ أي: لهؤلاء المانعين مساجد الله من ذكره والساعين في خرابها خزي في الدنيا، وهو الذلة والهوان والقتل والسبي، وقيل: ضرب الجزية عليهم، ولهم في الآخرة عذاب جهنم الذي لا يُخفف عن أهله، ولا يُقضى عليهم فيها فيموتوا، وهو العذاب العظيم الذي لا أعظم منه (٣).

الفرع الرابع: بيان حكم منع المساجد من ذكر الله والسعي في خرابها وشدة

تحريره:

إن منع مساجد الله من ذكر الله والسعي في خرابها من أشد الذنوب وأقبحها، وهو من أشد أنواع الظلم؛ بل لا أظلم منه في باب المنع؛ لأن ذلك تعطيلٌ ومضادةٌ لدين الله الذي أرسل به رسله وارتضاه لعباده، فمنعه منعٌ للخير وتمكينٌ للشر، فإن صلاح الأرض وأهلها بطاعة الله وذكره، ولهذا عندما تخلو الأرض من الإسلام

(١) «تفسير الطبري» (٢/٤٤٦).

(٢) «فتح القدير» (١/١٥٣).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٢/٤٤٧).

وأهله تقوم الساعة؛ لأنها خلت من الخير وأهله، كيف إذا انضَمَّ إلى ذلك السعي في خرابها من هدمٍ وتدميرٍ أو إغلاقٍ لأبوابها في وجوه من يريدون التعبد لله، مع إخافة من يتردد عليها؟

فيجب على كل من نصح نفسه وأراد السلامة لها الحذر أشد الحذر من هذا الجرم العظيم والذنب الكبير، بل على كل مسلم أن يسعى في إصلاح المساجد وحث المسلمين على غشيانها وعمارتها بطاعة الله، وأن يساهم في عمارتها الحسية والمعنوية بنفسه وماله.

المطلب الثاني: كتم الشهادة من الله، وبيانه.

وتحته أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

قال الله تعالى: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠].

الفرع الثاني: بيان المراد بكتم الشهادة لغةً، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الكتم لغةً:

قال ابن فارس^(١): (الكاف والتاء والميم: أصلٌ صحيح يدل على إخفاء وستر، من ذلك: كتمت الحديث كتمًا وكتمانًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢]. ويقال: ناقة كتوم: لا ترغو إذا رُكبت، قوةً وصبرًا^(٢)).

وذكر ابن منظور: (الكتمان: نقيض الإعلان، كتم الشيء يكتمه كتمًا وكتمانًا واكتمه وكتمه؛ إذا أخفاه، ورجل كاتم للسر وكتوم، وسرُّ كاتم أي: مكتوم، واستكتمه الخبر والسر: سأله كتمه، وناقة كتوم ومكتام: لا تُشول بذنبها عند اللقاح ولا يُعلم بحملها، والكتيم الجمل الذي لا يرغو، والكتيم: القوس التي لا تنشق. وسحاب مكتوم: لا رعد فيه، ورجل كُتمة، مثل هُمزة: إذا كان يكتم سره، وكاتمني سره: كتمه عني^(٣)).

(١) هو: أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، الرازي، من أئمة اللغة والأدب، قرأ على البديع الهمداني، والصاحب بن عباد، وغيرهما، له كتاب «معجم مقاييس اللغة»، و«المجمل»، مات سنة (٣٩٥هـ).

انظر: «الأعلام» (١/١٩٣).

(٢) معجم «مقاييس اللغة» (١٥٧/٥) مادة (كتم).

(٣) بتصرف من «لسان العرب» (٥٠٦/١٢) مادة (كتم).

الشهادة لغةً:

قال ابن فارس: (الشين والهاء والذال: أصلٌ يدل على حضورٍ وعلمٍ وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه، من ذلك الشهادة، يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور، والعلم، والإعلام، يقال: شَهِدَ يشْهَدُ شهادةً، والمَشْهَدُ: مُحَضَّرُ النَّاسِ)^(١)، والشهود والشهادة: الحضور مع المشاهدة إما بالبصر أو بالبصيرة، وقد يقال للحضور مفردًا، والشهادة: خبر قاطع، تقول منه: شهد الرجل على كذا، والمشاهدة: المعاينة، وشهده شهودًا: أي حضره، فهو شاهد، وقوم شهود: أي حضور، وهو في الأصل مصدر، وشهد أيضًا مثل راعع وركع، وشهد له بكذا شهادة، أي أدَّى ما عنده من الشهادة، فهو شاهد، وأشهدته على كذا فشهد عليه، أي صار شاهدًا عليه^(٢).

ثانياً: بيان المراد بكتمان الشهادة في أقوال المفسرين:

يبين الله **جَلَّ وَعَلَا** في هذه الآية الكريمة أنه لا أحد أظلم في باب الكتمان ممن كتم شهادة الله التي علمه إياها وطلب منه أن يشهد بها ويظهرها ولا يكتمها، وقد اختلف المفسرون في الشهادة التي كتموها على قولين^(٣):

الأول: وبه قال الحسن ومجاهد وزيد بن أسلم^(٤) قالوا: هي الشهادة في أمر إبراهيم

(١) معجم «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٢١) مادة (شهد).

(٢) **انظر:** «الصحاح» (٢/ ٤٩٤)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٢٦٧)، و«لسان العرب» (٤/ ٢٣٤٨) مادة (شهد).

(٣) **انظر:** «تفسير الطبري» (٢/ ٦٠٨) وما بعدها، و«التفسير الوسيط» (١/ ٢٢٣)، و«زاد المسير في علم التفسير» (١/ ١٥٢)، و«الدر المنثور» (١/ ٧٢٩).

(٤) **هو:** الإمام، الحجة، القدوة، زيد بن أسلم أبو عبد الله العدوي العمري، مولاهم، أبو أسامة أو أبو عبد الله: فقيه مفسر، من أهل المدينة، كان مع عمر بن عبد العزيز أيام خلافته، واستقدمه الوليد بن يزيد في جماعة من فقهاء المدينة إلى دمشق، مستفتيًا في أمر، وكان ثقةً، كثير الحديث، له حلقة في المسجد النبوي، وله كتاب في التفسير رواه عنه ولده عبد الرحمن. **انظر:** «سير أعلام النبلاء» ط الرسالة (٥/ ٣١٦)، و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٥٦).

والأنبياء الذين ذكرهم أنهم كانوا حنفاء مسلمين، فكتموها وقالوا: إنهم كانوا هودًا أو نصارى.

قال الحسن: والله لقد كان عند القوم من الله شهادة أن أنبياء بُرَاء من اليهودية والنصرانية، كما أن عند القوم من الله شهادة أن أموالكم ودماءكم بينكم حرام، فبم استحلوها؟^(١).

وقال مجاهد: في قول يهود لإبراهيم وإسماعيل ومن ذكر معها إنهم كانوا يهودًا أو نصارى، فيقول الله: لا تكتموا مني شهادة إن كانت عندكم فيهم، وقد علم أنهم كاذبون^(٢).

والثاني: وبه قال قتادة وأبو العالية^(٣) وابن زيد، وهو: أنهم كتّموا الشهادة بأن الإسلام هو دين الحق وأن محمدًا رسول الله وهم يعلمون أنه نبي دينه الإسلام.

قال قتادة: ﴿أَمْرُنَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾، أولئك أهل الكتاب كتّموا الإسلام وهم يعلمون أنه دين الله، واتخذوا اليهودية والنصرانية، وكتّموا محمدًا وهم يعلمون أنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يجذونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل^(٤).

(١) «تفسير الطبري» (٢/٦١١)، و«الدر المنثور» (١/٧٢٩).

(٢) «تفسير الطبري» (٢/٦١٠).

(٣) هو: أبو العالية رفيع بن مهران الرياحي البصري الإمام، المقرئ، الحافظ، المفسر، أحد الأعلام، كان مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع، ثم من بني تميم، أدرك زمان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق، ودخل عليه، ثقة كثير الإرسال من الثانية، مات سنة تسعين وقيل ثلاث وتسعين، وقيل بعد ذلك. **انظر:** «سير أعلام النبلاء» (٤/٢٠٧) و«تقريب التهذيب» ص (٢١٠).

(٤) «تفسير الطبري» (٢/٦١٢).

وقال الحسن البصري: (كانوا يقرؤون في كتاب الله الذي أتاهم: إن الدين عند الله الإسلام، وإن محمدًا رسول الله، وإن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا برآء من اليهودية والنصرانية، فشهد الله بذلك، وأقروا به على أنفسهم لله، فكتموا شهادة الله عندهم من ذلك)^(١).

والراجع: الأول بدلالة سياق الآيات، كما قرره الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ** بقوله: (... وإنما اخترنا القول الذي قلناه في تأويل ذلك؛ لأن قوله تعالى ذكره: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ في أثر قصة من سمى الله من أنبيائه، وأمام قصته لهم، فأولى بالذي هو بين ذلك أن يكون من قصصهم دون غيره)^(٢).

قلت: ويتلخص مما سبق أن الله **جَلَّ وَعَلَا** أنكر عليهم كذبهم وبهتانهم في دعوى أن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط كانوا هودًا أو نصارى، فهي دعوى فاجرة آثمة؛ فإن اليهودية والنصرانية حدثت بعد هؤلاء الذين ساهم الله من أنبيائه.

الفرع الثالث: شرح الآية.

جاءت هذه الآية الكريمة في سياق إبطال بعض دعاوى أهل الكتاب الكاذبة التي ادعواها كقولهم: ﴿كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى تَهْتَدُوا﴾ [البقرة: ١٣٥]، وكمحاجتهم للمؤمنين في الله، فقال هنا: ﴿أَمْ نَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَى﴾ الآية، و﴿أَمْ﴾ هنا يحتمل أن تكون المتصلة فتكون عاطفة لادعاء أهل الكتاب أن إبراهيم ومن ذكر معه من الأنبياء من اليهود والنصارى على محاجتهم في الله، فيكون تقدير الكلام: أتجاجوننا في الله و تقولون إن الأنبياء كانوا على دينكم، والاستفهام للإنكار والتوبيخ لهم على كلا الأمرين فإنه

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٥١).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢/ ٦١٣).

باطل، ويحتمل أن تكون ﴿أَمْرٌ﴾ هنا المنقطعة التي تقدر بـ (بل والهمزة) ويكون تقدير الكلام: بل أتقولون، والاستفهام للإنكار والتوبيخ أيضًا، فيكون قد انتقل عن قوله: أتحاجوننا، وأخذ في الاستفهام عن قضية أخرى، وهي إنكاره عليهم نسبة اليهودية والنصرانية إلى إبراهيم ومن ذكر معه^(١).

وقوله تعالى: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾، الهمزة في قوله: ﴿ءَأَنْتُمْ﴾ للاستفهام الإنكاري^(٢)؛ فقد أنكر الله عليهم ادعاءهم بأنهم كانوا هودًا أو نصارى، ثم رد الله عليهم بأنه أعلم بهم منكم؛ أي لم يكونوا هودًا ولا نصارى.

قال الشيخ السعدي مبيِّنًا ذلك: فرد الله عليهم بقوله: ﴿قُلْ ءَأَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ فالله يقول: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الْحَجَرَاتُ: ٦٧]، وهم يقولون: بل كان يهوديًا أو نصرانيًا، فيما أن يكونوا هم الصادقين العالمين، أو يكون الله تعالى هو الصادق العالم بذلك، فأحد الأمرين متعيَّن لا محالة، وصورة الجواب مبهم، وهو في غاية الوضوح والبيان، حتى إنه - من وضوحه - لم يحتج أن يقول: بل الله أعلم وهو أصدق، ونحو ذلك، لانجلائه لكل أحد، كما إذا قيل: الليل أنور، أم النهار؟ والنار أحر أم الماء؟ والشرك أحسن أم التوحيد؟ ونحو ذلك.

وهذا يعرفه كل من له أدنى عقل حتى إنهم بأنفسهم يعرفون ذلك، ويعرفون أن إبراهيم وغيره من الأنبياء لم يكونوا هودًا ولا نصارى، فكتموا هذا العلم وهذه الشهادة، فلهذا كان ظلمهم أعظم الظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي

(١) انظر: «الدر المصون» (٢/١٤٦).

(٢) انظر: تفسير «حدايق الروح والريحان في روابي علوم القرآن» (٢/٣٣٩)، و«إعراب القرآن وبيانه» (١/١٩٨).

المُعَامُ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

الاهتمام بإقامتها، فكتموها، وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق، وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟

بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلماذا قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾، بل قد أحصى أعمالهم، وعدّها وادخر لهم جزاءها، فبئس الجزاء جزاؤهم، وبئست النار مثوى للظالمين، وهذه طريقة القرآن في ذكر العلم والقدرة، عقب الآيات المتضمنة للأعمال التي يجازى عليها^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم كتمان الشهادة من الله وشدة تحريمه:

إن كتمان الشهادة التي استشهد الله خلقه عليها بعد تحققها ومعرفتها حرام بتحريم الله، ومناف للإيمان، ومن أعظم الذنوب وأشدّ الظلم بل لا ذنب أظلم في باب الكتمان منه، ولا يُقدّم على ذلك مؤمن يرجو الله والدار الآخرة؛ لأن فعل ذلك كتمان وإخفاء لما أمر الله بالشهادة به، والله لا يأمر إلا بالحق والصدق، فمن كتمها فقد كتم الحق.

قال الشيخ السعدي مبيّناً عظم كتم الشهادة وقبحه: (... فلماذا كان ظلمهم أعظم الظلم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ﴾؛ فهي شهادة عندهم، مودعة من الله، لا من الخلق، فيقتضي الاهتمام بإقامتها، فكتموها وأظهروا ضدها، جمعوا بين كتم الحق وعدم النطق به، وإظهار الباطل، والدعوة إليه، أليس هذا أعظم الظلم؟ بلى والله، وسيعاقبهم عليه أشد العقوبة، فلماذا قال: ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٢).

فيجب على كل مسلم أن يشهد بالحق، وأن يحذر من كتمانها، وأن لا تأخذها في

(١) «تفسير السعدي» (١/٦٩).

(٢) المصدر السابق.

ذلك لومة لائم، ويزداد ذلك تحتمًا في حق الدعوة إلى الله، وقد ضرب علماء السلف أروع الأمثلة في بيان الحق وعدم كتمانهم رغم ما حصل لهم من الفتنة والأذى، كما فعل إمام أهل السنة والجماعة، الإمام أحمد بن حنبل **رَحْمَةُ اللَّهِ فِي** فتنة خلق القرآن.

المطلب الثالث: افتراء الكذب على الله^(١)، وبيانها.

وتحتها أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآيات الواردة في ذلك:

لقد ورد ذلك في تسع آيات في كتاب الله؛ أربعٌ منها أفردت ذكر ذنب افتراء الكذب على الله وحده، وسأذكرها في هذا المطلب، وخمسٌ ذكرت مع ذنب الافتراء ذنباً آخر، وسأذكرها في مطالب أخرى تالية^(٢)، وفيما يلي ذكر الآيات التي أفردت

(١) تنبيه: ورد في الآيات التي نحن بصدد بيانها ذكر افتراء الكذب على الله، وورد في آية أخرى ذكر

الكذب على الله، فهل افتراء الكذب على الله، والكذب على الله شيء واحد أم بينهما فرق؟ عند الرجوع إلى كلام علماء اللغة تبين أن بينهما فرقاً دقيقاً، قال العسكري في الفرق بين الكذب والافتراء والبهتان: (الكذب: هو عدم مطابقة الخبر للواقع، أو لاعتقاد المخبر لهما على خلاف في ذلك، والافتراء: أخص منه؛ لأنه الكذب في حق الغير بما لا يرتضيه، بخلاف الكذب، فإنه قد يكون في حق المتكلم نفسه، ولذا يقال لمن قال: (فعلت كذا ولم أفعل كذا) مع عدم صدقه في ذلك: هو كاذب، ولا يقال: هو مفتر، وكذا من مدح أحداً بما ليس فيه، يقال: إنه كاذب في وصفه، ولا يقال: هو مفتر؛ لأن في ذلك مما يرتضيه المقول فيه غالباً)، «الفروق اللغوية» ص (٤٤٩).

قلت: ولأجل الفرق بينهما جعلت كل واحد منهما في مطلب مستقل، فاقترنت هنا على ذكر آيات الافتراء، وذكرت آية الكذب على الله في المطلب التاسع.

(٢) ذكرت ثلاثاً منها في المطلب الرابع، وهو التكذيب بآيات الله وشرح الآيات الواردة في ذلك، وهي كالتالي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿يَمَعَشِرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ يُفِضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُذَرُّونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ لِحَيَاتِهِمْ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَافِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

والرابعة: ذكرت في المطلب الخامس، وهو إدعاء أحد أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء وشرح الآية الواردة في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾

الافتراء بالذکر:

(١) قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْتُكُمْ اللَّهُ بِهِذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

(٢) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

(٣) وقوله تعالى: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوَلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَنٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الکهف: ١٥].

(٤) وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الصن: ٧].

الفرع الثاني: بيان المراد بافتراء الكذب على الله لغةً، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الافتراء لغةً:

الافتراء: اختلاق الكذب، يقال: فرى فلان الكذب يفريه، إذا اختلقه، وفرى

وَمَنْ قَالَ سَأَزِلُّ وَمِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

والخامسة: ذكرتها في المطلب الثامن، وهو التكذيب بالحق، وشرح الآية الواردة في ذلك، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ءَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [التكوير: ٦٨].

فلان كذا بالفتح إذا خلقه، وافتراه: اختلقه، والاسم: الفِرْيَةُ، والفِرْيَةُ بالكسر: الكذب، وهو اسم من الافتراء، والجمع فِرْيٌ كسدرَةٍ وسدرٍ، والفِرْيِيُّ، كغنيي: الأمر المختلق المصنوع أو العظيم، ورجل فَرِيٌّ ومَفْرِيٌّ: قبيح الفِرْيَةِ، ومنه قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ ﴾ [يُونُسُ: ٣٨]؛ أي: اختلقه، وفي الحديث: «من أفرى الفرى أن يري الرجل عينيه ما لم تريا»^(١)، الفِرْيُ: جمع فِرْيَةٍ وهي الكذبة، وأفرى أفعال منه للتفضيل أي: أكذب الكذبات^(٢).

الكذب لغةً:

الكذب: الكاف والذال والباء: أصلٌ صحيح يدل على خلاف الصدق، وتلخيصه أنه لا يبلغ نهاية الكلام في الصدق.

من ذلك الكذب خلاف الصدق، يقال: كذب كاذبًا، وكذبتُ فلانًا: نسبتُه إلى الكذب، وأكذبتُه: وجدته كاذبًا، ورجل كذاب وكذوب وكذبذب وكيدبان؛ كل ذلك للمبالغة، وكله في معنى الكذاب، والكذب: جمع كذوب مثل صبور وصبر، وأكذبت الرجل: ألفتُه كاذبًا، وكذبتُه: إذا قلت له كذبت.

وقال ثعلب^(٣): أكذبه وكذبه بمعنى، وقد يكون أكذبه بمعنى بين كذبه، وقد يكون بمعنى حمّله على الكذب، وبمعنى وجده كاذبًا.

(١) رواه الإمام أحمد في «مسنده» (١٨٧/٢٨) ح (١٦٩٨٠)، والبخاري في «صحيحه» (٢٥٨٢/٦) ح (٦٦٣٦)، كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه.

(٢) انظر: «تهذيب اللغة» (١٧٥/١٥)، و«الصحاح» (٢٤٥٤/٦)، و«المعجم الوسيط» (٦٨٧/٢)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٤١١)، و«لسان العرب» (٣٤٠٨/٥)، و«تاج العروس» (٢٣١/٣٩) مادة (فري).

(٣) هو: أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار، أبو العباس النحويّ الشيبانيّ مولا هم المعروف بثعلب، إمام الكوفيين في النحو واللغة، مات سنة (٢٩١ هـ) انظر: «إنباه الرواة على أنباه النحاة» (١٧٣/١).

والأكاذيب: أحاديث الباطل، الواحدة أكذوبة، والتكاذب: ضد التصديق^(١).

ثانياً: بيان المراد بافتراء الكذب في أقوال المفسرين:

لقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالافتراء على الله، إلا أن مؤداها واحد فهي ترجع إلى ذكر نماذج وأمثلة لافتراءات الكفرة على الله، والآيات شاملة لها جميعاً، وإليك جملة منها:

يقول ابن جرير الطبري: (فمن أشد ظلماً لنفسه، وأبعد عن الحق، ممن تحرّص على الله قيل الكذب وأضاف إليه تحريم ما لم يُحرّم وتحليل ما لم يُحلّل)^(٢).

ويقول أيضاً: (ومن أشد اعتداءً وإشراكاً بالله، ممن اختلق، فتخرص على الله كذباً، وأشرك مع الله في سلطانه شريكاً يعبده دونه، ويتخذه إلهاً)^(٣).

ويقول القرطبي: (أي: لا أحد أظلم منهم لأنفسهم؛ لأنهم افتروا على الله كذباً، فأضافوا كلامه إلى غيره، وزعموا أن له شريكاً وولداً، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله)^(٤).

ويقول أبو حيان: (وهم المفترون الذين نسبوا إلى الله الولد، واتخذوا معه آلهة، وحرّموا وحلّلوا من غير شرع الله)^(٥).

ويقول القاسمي: (ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً كقوله للملائكة بنات لله،

(١) انظر: «جمهرة اللغة» (١/٣٠٥)، «الصحاح» (١/٢١٠)، و«مقاييس اللغة» (٥/١٦٧)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٧٠٤)، و«لسان العرب» (٥/٣٨٤٠) مادة (كذب).

(٢) «تفسير الطبري» (٩/٦٣٠).

(٣) «تفسير الطبري» (١٥/١٨١).

(٤) «الجامع لأحكام القرآن» (٩/١٨).

(٥) «البحر المحيط» (٥/٢١٢).

وللأصنام: شفعاء عند الله^(١).

ويقول الشيخ السعدي: (ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهو لاء أعظم الناس ظلماً)^(٢).

ويقول الطبري: (يقول تعالى ذكره: ومن أشد ظلماً وعدواناً ممن اختلق على الله الكذب، وهو قول قائلهم للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: هو ساحر ولما جاء به سحر، فكذلك افتراؤه على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام يقول: إذا دُعِيَ إلى الدخول في الإسلام، قال على الله الكذب، وافتري عليه الباطل)^(٣).

ويقول ابن كثير: (ومن أظلم ممن افتري على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام؛ أي: لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء، وهو يدعى إلى التوحيد والإخلاص)^(٤).

الفرع الثالث: شرح الآيات الواردة في ذلك:

شرح الآية الأولى:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّكُمْ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤].

(١) «تفسير القاسمي» (٦/ ٨٤).

(٢) «تفسير السعدي» (٢/ ٧٧).

(٣) «تفسير الطبري» (٢٢/ ٦١٤).

(٤) «تفسير ابن كثير» (١٣/ ٥٤٨).

هذه الآية وردت في سياق قوله تعالى: ﴿تَمَنِّيَةَ أَرْوَجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ نَبِيُّنِي يَعْلَمُ إِنَّ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣]، وقد بيّن الله فيها امتنانه على عباده بأن جعل كل هذه الأنعام لهم حلالاً طيباً، وبيّن فيها أيضاً جهل العرب قبل الإسلام فيما كانوا حرموا من الأنعام وجعلوها أجزاءً وأنواعاً: بحيرة^(١)، وسائبة، ووصيلة، وحاماً، وغير ذلك من الأنواع التي ابتدعوها في الأنعام والزروع والثمار؛ فبيّن تعالى أنه أنشأ جنات معروشات وغير معروشات، وأنه أنشأ من الأنعام حمولة^(٢) وفرشاً، ثم بين أصناف الأنعام إلى: غنم وهي الضأن والمعز ذكره وأنثاه، وإلى إبل ذكورها وإنثاءها، وبقر كذلك، وأنه تعالى لم يحرم شيئاً من ذلك ولا شيئاً من أولادها بل كلها مخلوقة لبني آدم أكلاً وركوباً وحمولةً وحلباً وغير ذلك من وجوه المنافع^(٣)

وذكرها الله توطئة لتقسيم الأنعام إلى أربعة أصناف الذي هو توطئة للرد على المشركين لقوله: ﴿قُلْ ءَآلَ الذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثِيَيْنِ﴾ إلى قوله: ﴿أَمْ كُنْتُمْ

(١) تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وأصحها إسناداً ما رواه البخاري في «صحيحه» (٤/ ١٦٩٠) ح (٤٣٤٧)، ومسلم في «صحيحه» (٨/ ١٥٥) ح (٧٢٩٥) عن سعيد بن المسيب قال: (البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت، فلا يجلبها أحد من الناس). والسائبة: كانوا يسيبونها لأهنتهم، لا يحمل عليها شيء. والوصيلة: الناقة البكر، تبكر في أول نتاج الإبل، ثم تثني بعد بأثني، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم، إن وصلت إحدهما بالأخرى ليس بينهما ذكر. والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه ودَعُوهُ للطواغيت، وأعفوه عن الحمل، فلم يحمل عليه شيء، وسموه الحامي. وانظره أيضاً في: «تفسير الطبري» (٩/ ٣٦)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٠٨).

(٢) الحمولة: ما حُمِل عليه من الإبل وغيرها، والفرش: صغار الإبل التي لم تدرك أن يحمل عليها، وقيل غير ذلك. انظر: «تفسير الطبري» (٩/ ٦١٨)، و«تفسير السمعاني» (٢/ ١٥٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥٠).

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥١)، و«تفسير السعدي» (٢/ ٧٧).

شُهَدَاءُ ﴿؛ أي: أنشأ من الأنعام حمولة إلى آخره حالة كونها ثمانية أزواج. ^(١)

وقد شرح العلامة السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ** الآيتين شرحاً جامعاً فأفاد وأجاد، فقال **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (وهذه الأنعام التي امتن الله بها على عباده، وجعلها كلها حلالاً طيباً، فصلها بأنها: ﴿ **ثَمَنِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ** ﴾؛ ذكر وأنثى ﴿ **وَمِنَ الْمُعْزِ اثْنَيْنِ** ﴾ كذلك، فهذه أربعة، كلها داخلة فيما أحل الله، لا فرق بين شيء منها، فقل لهؤلاء المتكلفين، الذين يحرمون منها شيئاً دون شيء، أو يحرمون بعضها على الإناث دون الذكور، ملزماً لهم بعدم وجود الفرق بين ما أباحوا منها وحرموا: ﴿ **أَلَذَّكَرَيْنِ** ﴾ من الضأن والمعز ﴿ **حَرَمَ** ﴾ الله، فلستم تقولون بذلك وتطردونه، ﴿ **أَمِ الْأُنثِيَيْنِ** ﴾ حرم الله من الضأن والمعز، فليس هذا قولكم، لا تحريم الذكور الخالص، ولا الإناث الخالص من الصنفين. بقي إذا كان الرحم مشتملاً على ذكر وأنثى، أو على مجهول فقال: (أم) تحرمون ما ﴿ **أَشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ** ﴾؛ أي: أنثى الضأن وأنثى المعز، من غير فرق بين ذكر وأنثى، فلستم تقولون أيضاً بهذا القول.

فإذا كنتم لا تقولون بأحد هذه الأقوال الثلاثة، التي حصرت الأقسام الممكنة في ذلك، فيلبي أي شيء تذهبون؟

﴿ **نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ** ﴾ في قولكم ودعواكم، ومن المعلوم أنهم لا يمكنهم أن يقولوا قولاً سائعاً في العقل، إلا واحداً من هذه الأمور الثلاثة، وهم لا يقولون بشيء منها، إنما يقولون: إن بعض الأنعام التي يصطلحون عليها اصطلاحات من عند أنفسهم، حرام على الإناث دون الذكور، أو محرمة في وقت من الأوقات، أو نحو ذلك من الأقوال، التي يعلم علماً لا شك فيه أن مصدرها من الجهل المركب، والعقول المختلفة المنحرفة، والآراء الفاسدة، وأن الله، ما أنزل - بما

(١) «التحرير والتنوير» (٨ / ١٢٨).

قالوه - من سلطان، ولا لهم عليه حجة ولا برهان.

ثم ذكر في الإبل والبقر مثل ذلك، فلما بين بطلان قولهم وفساده، قال لهم قولاً لا حيلة لهم في الخروج من تبعته، إلا في اتباع شرع الله: ﴿ **أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْنَاكُمْ اللَّهُ** ﴾؛ أي: لم يبق عليكم إلا دعوى، لا سبيل لكم إلى صدقها وصحتها، وهي أن تقولوا: إن الله وصانا بذلك، وأوحى إلينا كما أوحى إلى رسله، بل أوحى إلينا وحيًا مخالفًا لما دعت إليه الرسل ونزلت به الكتب، وهذا افتراء لا يجمله أحد، ولهذا قال: ﴿ **فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ** ﴾؛ أي: مع كذبه وافتراءه على الله، قصده بذلك إضلال عباد الله عن سبيل الله، بغير بينة منه ولا برهان، ولا عقل ولا نقل، ﴿ **إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ** ﴾ الذين لا إرادة لهم في غير الظلم والجور، والافتراء على الله^(١).

شرح الآية الثانية:

يقول الله تعالى: ﴿ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴾ [هؤولاء: ١٨].

يخبر تعالى أنه لا أحد ﴿ **أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا** ﴾، ويدخل في هذا كل من كذب على الله، بنسبة الشريك له، أو وصفه بما لا يليق بجلاله، أو الإخبار عنه بما لم يقل، أو ادعاء النبوة، أو غير ذلك من الكذب على الله، فهؤلاء أعظم الناس ظلمًا.

﴿ **أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ** ﴾؛ العرض: هو إظهار الشيء ليُرى ويوقف على حاله، ليجازيهم بظلمهم، فعندها يحكم عليهم بالعقاب الشديد.

﴿ **وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ** ﴾؛ أي: الذين شهدوا عليهم بافترائهم وكذبهم، والأشهاد: جمع شاهد، كالأصحاب جمع صاحب.

(١) «تفسير السعدي» (٢/ ٧٧ وما بعدها).

المُغَامِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

واختلف في المراد بالأشهاد، فقال ابن عباس: إنهم الأنبياء والمرسلون، وقال مجاهد: هم الملائكة، وقال بعضهم: الخلائق كلهم، والمعنى: أنه يقول هؤلاء الأشهاد عند العرض: هؤلاء المعرضون أو المعروضة أعمالهم الذين كذبوا على ربهم بما نسبوه إليه، ولم يصرحوا بما كذبوا به، كأنه كان أمرًا معلومًا عند أهل ذلك الموقف، كما في الصحيحين عن ابن عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا** قال: سمعت رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** يقول: «إن الله يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه ويستره، فيقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب، حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه هلك، قال: سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم، فيُعْطَى كتاب حسناته، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد: **﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** ^(١)».

والفائدة في قول الأشهاد بهذه المقالة: المبالغة في فضيحة الكفار، والتقرير لهم على رؤوس الأشهاد.

﴿هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: ألا غضب

الله على المعتدين، الذين كفروا بربههم، غضبًا ولعنةً لا تنقطع؛ لأن ظلمهم صار وصفًا لهم ملازمًا، لا يقبل التخفيف ^(٢).

شرح الآية الثالثة:

يقول الله تعالى: **﴿هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ إِهْلًا لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ**

بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ [الكهف: ١٥].

(١) رواه البخاري في «صحيحه» (٢/ ٨٦٢)، ح (٢٣٠٩) كتاب المظالم باب قول الله تعالى: **﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** واللفظ له، ومسلم في «صحيحه» (٤/ ٢١٢٠) ح (٢٧٦٨)، كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله.

(٢) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (١٢/ ٣٦٦) و«تفسير السمعاني» (٢/ ٤٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣١٣)، و«فتح القدير للشوكاني» (٢/ ٥٥٧)، و«تفسير السعدي» (٢/ ٧٩).

يقول عز ذكره مخبراً عن قيل الفتية من أصحاب الكهف: ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً﴾؛ أي قال بعضهم لبعض: هؤلاء قومنا؛ أي: أهل عصرنا وبلدنا، عبدوا الأصنام تقليداً من غير حجة ﴿لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَىٰ عِبَادَتِهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ يقول: هلاً يأتون على عبادتهم إياها بحجة بينة وبرهان، وقيموا على صحة ما ذهبوا إليه دليلاً واضحاً صحيحاً؟!

و﴿لَوْلَا﴾ في هذه الآية الكريمة للتحضيض، وهو الطلب بحثّ وشدّة، والمراد بهذا الطلب التعجيز؛ لأنه من المعلوم أنه لا يقدر أحد أن يأتي بسُلطان بين على جواز عبادة غير الله، والمراد بالسُلطان البين: الحجة الواضحة، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا﴾: وَمَنْ أَشَدُّ اعْتِدَاءً وَإِشْرَاكًا بِاللَّهِ مِنْ اخْتَلَقَ، فَتَحَرَّصَ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا، وَأَشْرَكَ مَعَ اللَّهِ فِي سُلْطَانِهِ شَرِيكًا يَعْبُدُهُ دُونَهُ، وَيَتَّخِذُهُ إِلَهًا، فَلَا أَحَدٌ أَظْلَمُ مِنْهُ^(١).

شرح الآية الرابعة:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الزَّيْفُ: ٧].

يقول تعالى ذكره: ومن أشد ظلمًا وعدوانًا ممن اختلق على الله الكذب، فيجعل له أندادًا وشركاء ويقول عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: بأنه ساحر وما جاء به سحر، وكذلك افتراه على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام - أي: إلى التوحيد والإخلاص - ويبين له بالبراهين والبيّنات.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾؛ أي: لا يوفق القوم الذين لا يزالون على ظلمهم

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (١٥/١٨١)، و«تفسير ابن كثير» (٥/١٤١)، و«فتح القدير» للشوكاني (٣/٣٢٤)، و«تفسير السعدي» (٣/١٤٥)، و«أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/٢١٦).

مستمرين، لا تردهم عنه موعظة، ولا يزرهم بيان ولا برهان، خصوصا هؤلاء الظلمة القائمين بمقابلة الحق ليردوه، ولينصروا الباطل^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم افتراء الكذب على الله، وشدة تحريمه.

إن افتراء الكذب على الله منكرٌ عظيم، وجرمٌ كبير، وكفرٌ بالله **جَلَّ وَعَلَا**، وهضمٌ لجناب الربوبية، وحرامٌ بإجماع المسلمين، وقد أخبر الله عنه في آيات عديدة أنه لا أظلم منه في بابه؛ لأنه كذبٌ على العظيم الكبير المتعال وقولٌ عليه بغير علم، وإضافة شيء إليه لم يقله ولم يفعله، أو وصفه والإخبار عنه بما لا يليق بكماله وجلاله وألوهيته، فيجب الحذر من ذلك أشد الحذر، وعدم القول على الله بغير علم، وعلى المسلم أن يقف عند ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة، فيثبت لله ما أثبت لنفسه أو أثبت له رسوله فيما صح عنه، ويحذر عنه بما أخبر به عن نفسه أو أخبر عنه رسوله، وينفي عن الله ما نفاه عن نفسه أو نفاه عنه رسوله، ويحذر من الافتراء عليه بأي وجه من الوجوه.

ومما يدل على عظم حُرمة هذا الفعل؛ ما ورد في الآيات المتقدمة من الوعيد بالعقوبة لفاعله، ووصفه بالأوصاف المستشعنة، ومن ذلك:

(١) قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١].

(٢) وقوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧].

(٣) وقوله تعالى: ﴿ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هود: ١٨].

(٤) وقوله تعالى: ﴿ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الصافات: ٧].

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٢٢/٦١٤)، و«تفسير ابن كثير» (٨/١١١)، و«تفسير السعدي» (٥/٢٣١).

فقد اشتملت هذه الآيات المباركات على أنواع من العقوبات منها: طردهم وإبعادهم من رحمته، ووصفهم بالظُّلم، ونفي الفلاح عنهم، وحرمانهم الهداية، ووصفهم بالإجرام.

المطلب الرابع: التكذيب بآيات الله، وبيانه.

وتحتها أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآيات الواردة في ذلك:

لقد ورد وصف التكذيب بآيات الله بأنه لا أظلم منه في أربع آيات من كتاب الله، ثلاثٌ منها اقتصرت على ذكر التكذيب بآيات الله فقط، والرابعة^(١) جاء فيها زيادة ذكر الصِّدْفُ عن آيات الله مع التكذيب بها، فأخرت الكلام عليها في مطلب مستقل^(٢).

والآيات الثلاث هي كالتالي:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١].

الثانية: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكِتَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الإعراف: ٣٧].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يونس: ١٧].

(١) وهي قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُم مِّن رَّبِّكُمْ وَهَدَىٰ وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجِرَى الَّذِينَ يَصِدِفُونَ عَنَّا إِنَّنَا سَوْءُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصِدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

(٢) انظر: المطلب السادس.

الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بآيات الله لغةً، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة: (١)

الآيات لغةً:

الآية: العلامة، والأصل: أَوِيَّةٌ بالتحريك، وقيل: أصلها أَيْةٌ بوزن أَعْيَةٍ، مهموزٌ همزتين، فخففت الأخيرة فامتدَّت، وجمع الآية: آيٌّ وآيٌّ وآياتٌ.
وأياً آيةً: وضع علامة، وسميت الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة لانقطاع كلام من كلام.

وتأتي الآية ويراد بها: العِبْرَةُ وجمعها آيٌّ، ومنها قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ آيَاتٌ لِلِّسَّالِينَ﴾ [يُوسُفَ: ٧]؛ أي أمورٌ وعبرٌ مختلفة، وهو المعنى المراد بالآيات التي نحن بصدد الحديث عنها (٢).

ثانياً: بيان المراد بالتكذيب بآيات الله في أقوال المفسرين.

لقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بآيات الله، لكن عند التدقيق فيها يتبين أنها لا تخرج عن أحد قولين:

الأول: تعميم المراد بالآيات بحيث تشمل كل حجج الله وأعلامه وأدلته.

الثاني: إفراد بعض الآيات بالذكر: كالقرآن، والمعجزات، والنبى.

وكلا القولين حقٌّ، ويؤيد بعضها بعضاً، والاختلاف بينها من قبيل اختلاف التنوع، وفيما يلي جملة من أقوال المفسرين:

(١) سبق تعريف الكذب لغة في المطلب الثاني.

(٢) انظر: «الصحاح» (٢٢٧٥/٦)، و«مقاييس اللغة» (١/١٦٨)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٧٠٤)، و«لسان العرب» (١/١٨٥) مادة (ابى).

قال الطبري: ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾؛ يقول: أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطها رسله على حقيقة نبوتهم^(١).

ويقول أيضاً: ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾؛ يعني: بحججه ورسله وآيات كتابه^(٢).

ويقول ابن الجوزي^(٣): (وفي آياته قولان: أحدهما: أنها محمد والقرآن؛ قاله ابن

السائب^(٤)، والثاني: القرآن؛ قاله مقاتل^(٥)).

ويقول القرطبي: ﴿ أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ﴾ يريد القرآن والمعجزات^(٦).

ويقول ابن كثير: (أي: لا أظلم ممن تقوّل على الله فادعى أن الله أرسله ولم يكن

أرسله، ثم لا أظلم ممن كذب بآيات الله وحججه وبراهينه ودلالاته)^(٧).

ويقول القاسمي: (أو كذب بآياته؛ أي: القرآن والمعجزات، حيث سموها

سحراً)^(٨).

(١) «تفسير الطبري» (١٨٨/٩).

(٢) «تفسير الطبري» (١٦٧/١٠).

(٣) «زاد المسير» (١٥/٣).

(٤) هو: محمد بن السائب بن بشر الكلبي، أبو النضر، الكوفي، النسابة المفسر، متهم بالكذب، ورمي بالرفض، مات سنة (١٤٦هـ). انظر ترجمته في: «التقريب» ص (٨٤٧).

(٥) هو: أبو الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني البلخي، المفسر، رُمي بالتجسيم، وله تصانيف عديدة في مجال التفسير، منها: «التفسير الكبير»، و«تفسير الخمسائة آية»، توفي سنة (١٥٠هـ).

انظر: «طبقات المفسرين» للداودي: ص (٥٢١)، و«شذرات الذهب» (٢/٢٢٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (٤٠١/٦).

(٧) «تفسير ابن كثير» (٤٣٥/٥).

(٨) «تفسير القاسمي» (٤/٣٣٢).

الفرع الثالث: شرح الآيات.

شرح الآية الأولى:

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنعام: ٢١]؛ أي: لا أحد في باب الافتراء أشد فريةً ممن افترى على الله الكذب، يقول الطبري **رَحْمَةُ اللَّهِ** في تفسير الآية: (يقول تعالى ذكره: وَمَنْ أَشَدَّ اعْتِدَاءً، وَأَخْطَأَ فِعْلًا، وَأَخْطَلَ قَوْلًا ﴿وَمِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ يعني: ممن اختلق على الله قبيلاً باطلاً، واخترق من نفسه عليه كذباً، فزعم أن له شريكاً من خلقه وإلها يُعبد من دونه؛ كما قاله المشركون من عبدة الأوثان، أو ادَّعى له ولداً أو صاحبة؛ كما قالته النصارى.

﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ يقول: أو كذب بحججه وأعلامه وأدلته التي أعطاها رسله على حقيقة نبوتها كما كذبت بها اليهود.

﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾؛ يقول: إنه لا يفلح القائلون على الله الباطل، ولا يدركون البقاء في الجنان، والمفترون عليه الكذب، والجاحدون بنبوة أنبيائه^(١).

ويقول الشيخ السعدي **رَحْمَةُ اللَّهِ**: (أي: لا أعظم ظلماً وعناداً، ممن كان فيه أحد الوصفين، فكيف لو اجتمعا: افتراء الكذب على الله، أو التكذيب بآياته التي جاءت بها المرسلون، فإن هذا أظلم الناس، والظالم لا يفلح أبداً، ويدخل في هذا، كل من كذب على الله، بادعاء الشريك له والعوين، أو زعم أنه ينبغي أن يُعبد غيره أو اتخذ له صاحبة أو ولداً، وكل من رد الحق الذي جاءت به الرسل أو من قام مقامهم)^(٢).

(١) انظر: «تفسير الطبري» (١٨٨/٩).

(٢) «تفسير السعدي» (١٤/٢).

شرح الآية الثانية:

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوا آيِنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ۗ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾ [الْإِنشَاء: ٣٧].

يقول تعالى ذكره: فمن أخطأ فعلاً، وأجهل قولاً، وأبعد ذهاباً عن الحق والصواب ﴿مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾؛ واختلق على الله زورا من القول، بنسبة الشريك له، أو النقص له، أو التّفوق عليه ما لم يقل، فقال إذا فعل فاحشة: إن الله أمرنا بها! ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾؛ يقول: أو كذب بأدلته وأعلامه الدالة على وحدانيته ونبوة أنبيائه، فجحده حقيقتها ودافع صحتها، فلا أحد أظلم منه في بابه.

﴿أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذْبِ﴾ اختلف المفسرون في معناه: فقال العوفي^(١) عن ابن عباس: (ينالهم ما كُتِبَ عليهم، وكُتِبَ لمن يفتري على الله أن وجهه مسود). وقال علي بن أبي طلحة^(٢) عن ابن عباس يقول: (نصيبهم من الأعمال، من عمل خيراً جُزِيَ به، ومن عمل شراً جُزِيَ به).

وقال مجاهد: (ما وعدوا فيه من خير وشر)، وكذا قال قتادة، والضحاك^(٣)، وغير

(١) هو: عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفي الجدي - بفتح الجيم والمهملة - القيسي الكوفي أبو الحسن، صدوق يُحطَى كثيراً، مات سنة (١١١ هـ). انظر: «تقريب التهذيب» ص (٣٩٣)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٣٧).

(٢) هو: علي بن أبي طلحة سالم بن المخارق، مولى العباس، أبو الحسن، ويُقال: أبو طلحة الهاشمي الجزري، نزيل حمص، روى عن: مجاهد، وأبي الوداك جبر بن نوف، وراشد بن سعد، وعنه: الثوري، ومعاوية بن صالح، وفرج بن فضالة، وطائفة، قال أحمد بن حنبل: روى التفسير عن ابن عباس ولم يره، مات سنة (١٤٣ هـ)، انظر: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال» (٢٠/ ٤٩٠)، و«تاريخ الإسلام» (٣/ ٩٣٢).

(٣) هو: الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني النيسابوري، أبو القاسم، مفسر، صدوق كثير الإرسال،

واحد، واختاره ابن جرير.

وقال محمد بن كعب القرظي^(١): ﴿أُولَئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْكُذِبِ﴾ قال: عمله ورزقه وعمره.

وكذا قال الربيع بن أنس^(٢)، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، وهذا القول قوي في المعنى، والسياق يدل عليه، وهو قوله: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ﴾، ويصير المعنى في هذه الآية كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾^(٦١) مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُنذِرُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿يُولِئِينَ: ٦٩-٧٠﴾. وقوله: ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزَنكَ كُفْرُهُ وَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾^(٦٣) نَمْنَعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿لِقَبْلَانِ: ٢٣-٢٤﴾.

ثم قال: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ رَسُولُنَا يُتَوَفَّوْنَهُمْ﴾؛ أي: الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم واستيفاء آجالهم، ﴿قَالُوا﴾ لهم في تلك الحالة توبيخًا وعتابًا: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ؟﴾ فالاستفهام للتقريع والتوبيخ؛ أي: أين الآلهة التي كنتم تدعونها من دون الله وتعبدون منها الأصنام والأوثان؟ فقد جاء وقت الحاجة إن كان فيها منفعة لكم أو دفع مضرة. ﴿قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا﴾؛ أي: اضمحلوا وبطلوا، وليسوا مُغْنِينَ عَنَّا من عذاب الله من شيء، ﴿وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ﴾، مستحقين للعذاب المهين

مات سنة (١٠٥هـ). انظر ترجمته في: «التقريب» ص (٤٥٩)، «الأعلام» (٣/ ٢١٥).

(١) هو: محمد بن كعب بن سليم القرظي، أبو حمزة، الإمام المفسر، كان أبوه ممن لم يُنبت يوم قريظة فترك، سكن الكوفة، ثم المدينة، كان جالساً بمسجد الربرة مع بعض جلسائه، فوَقعت بهم زلزلة فمات سنة (١٢٠هـ)، وقيل: قبل ذلك. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٦٥)، و«تقريب التهذيب» ص (٥٠٤).

(٢) هو: الربيع بن أنس البكري أو الحنفي بصري، نزل خراسان، صدوق له أوهام، ورمي بالتشيع، مات سنة (١٤٠هـ)، وقيل: قبلها، انظر ترجمته في: «التقريب» ص (٣١٨).

الدائم^(١).

شرح الآية الثالثة:

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [يُونُسَ: ١٧].

يقول تعالى: لا أحد أظلم ولا أعتى ولا أشد إجرامًا ﴿مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا﴾ و«تَقَوَّلَ عَلَى اللَّهِ، وَزَعَمَ أَنَّ اللَّهَ أَرْسَلَهُ، وَلَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ، ﴿أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ﴾»؛ يعني: بحججه ورسله وآيات كتابه، فليس أحدٌ أكبر جرمًا ولا أعظم ظلمًا من هذا، ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ تَعْلِيلٌ لِكُونِهِ لَا أَظْلَمَ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ؛ أي: لا يظفرون بمطلوب، ولا يفوزون بخير^(٢).

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (١٠/١٦٧)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٤١٠)، و«فتح القدير» للشوكاني (٢/٢٣١)، و«تفسير السعدي» (٢/١٠٨).

(٢) بتصرف من «تفسير الطبري» (١٢/١٤٢)، و«تفسير ابن كثير» (٤/٢٥٤)، و«فتح القدير» للشوكاني (٢/٤٩٢).

الفرع الرابع: بيان حكم التكذيب بآيات الله، وشدة تحريمه.

إن التكذيب بآيات الله ذنب عظيم، وإثم كبير، ومحادة لله، ولا أحد أظلم في باب التكذيب ممن فعله، فكيف إذا انضم إليه افتراء الكذب على الله، وقد حرمه الله أشد التحريم، وهو مناف للإيمان، فيجب على كل من أراد النجاة بين يدي الله أن يحذر من التكذيب بآيات الله، وأن يبادر إلى تصديقها والإيمان بها، والمبادرة إلى العمل بما أرشدت إليه.

ومما يدل على عظمه وسوئه: ما ذكره الله في الآيات التي معنا من جزائه وعقوبته، قال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١]، وقال: ﴿ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمَجْرِمُونَ ﴾ [يونس: ١٧]، وقال: ﴿ أُولَئِكَ يَنْهَكُم مِّنْ كَيْدِهِمْ مِّنَ الْكَيْدِ حَقًّا إِذَا جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوهُمْ قَالُوا أَإِنَّا مَكَتُومٌ تَدْعُونَنَا مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَيْنَا أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴾ [الإعراف: ٣٧]، فأخبر بنفي الفلاح عنهم ولا يُنفي الفلاح مطلقاً إلا عن كافر، ووصفهم بأنهم مجرمون، ووصفهم بأنهم كافرون، وكل هذا يدل على قبح هذا الذنب.

وقد جاء في آيات أخر ما يدل على شدة تحريمه وسوء عاقبته ومنها:

- (١) قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يُمَسِّمُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ [الأنعام: ٤٩].
- (٢) ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ [الإعراف: ٣٦].
- (٣) ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتِّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الإعراف: ٤٠].
- (٤) ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الإعراف: ١٤٧].

المطلب الخامس: ادعاء أحد أن الله أوحى إليه والله لم يوحِ إليه شيئاً، وبيانه.

وتحتة أربعة فروع.

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

الفرع الثاني: بيان المراد بادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوحِ إليه شيئاً لغةً، وفي

أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الوحي لغةً:

قال ابن فارس: (الواو والحاء والحرف المعتل: أصل يدل على إلقاء علم في إخفاء إلى غيرك، فالوحي: الإشارة، والوحي: الكتاب والرسالة، وكل ما ألقىته إلى غيرك حتى علمه فهو وحي كيف كان...، وكل ما في باب الوحي فراجع إلى هذا الأصل الذي ذكرناه، والوحي: السريع، والوحي: الصوت)^(١)، (ويقال وحيته إليه وأوحيت: إذا كلمته بما تخفيه عن غيره، ويطلق الوحي على الإشارة السريعة، ويكون على سبيل الرمز والتعريض، وقد يكون بصوت مجرد أو بالإشارة ببعض الجوارح، ومادة الكلمة تدل على معنيين أصليين هما: الخفاء والسرعة، ولذا قيل في معناه:

(١) «مقاييس اللغة» (٩٣/٦) مادة: (وحي).

الإعلام الخفي السريع الخاص بمن يوجه إليه بحيث يخفى على غيره^(١).

ولخص ذلك أيضًا شيخ الإسلام ابن تيمية **رَحْمَةُ اللَّهِ** تعالى، فقال: (الوحي: الإعلام السريع الخفي إما في اليقظة وإما في المنام)^(٢).

ثانيا: بيان المراد بادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوح إليه شيئاً في أقوال المفسرين.

عند النظر في أقوال المفسرين في المراد بمن ادعى أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء يتبين أنها تنحصر في الآتي:

الأول: قال الطبري: (إن الآية عامة في كل من ادعى النبوة)^(٣).

الثاني: أنها نزلت في أشخاص معينين واختلفوا في تحديد هؤلاء الأشخاص:

فقال: ابن عباس، والسدي: نزل هذا في عبد الله بن سعد بن أبي سرح^(٤).

(١) انظر: «المفردات» ص (٥٣٦)، و «تاج العروس» (٣٨٥ / ١٠) مادة: (وحي).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣٩٨ / ١٢).

(٣) انظر: «تفسير الطبري» (٤٠٤ / ٩).

(٤) هو: صاحب رسول الله **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي، من قريش: فاتح إفريقية، وفارس بني عامر، من أبطال الصحابة. أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها. وكان من كتّاب الوحي وكان على ميمنة عمرو بن العاص حين افتتح مصر، وولي مصر سنة (٢٥ هـ) بعد عمرو بن العاص، فاستمر نحو ١٢ عامًا، واعتزل الحرب بين معاوية وعلي (بصفيين) ومات بعسقلان فجأة، وهو قائم يصلي. وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع. وأخباره كثيرة. انظر: «الإصابة» (٩٤ / ٤)، و «الأعلام» للزركلي (٨٨ / ٤)، وانظر **فيمَن قال إن الآية نزلت فيه:** «تفسير الطبري» (٤٠٥ / ٩)، و «تفسير السمعاني» (١٢٦ / ٢).

المُعَامِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

وقال عكرمة^(١)، وقتادة: نزلت الآية في مسيلمة الكذاب^(٢)، والأسود العنسي^(٣).

قلت: وعند التأمل يتبين أن هذه الأقوال لا خلاف بينها كما حقق ذلك الإمام الطبري فقال: (...وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب، أن يقال: إن الله قال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ ولا تمنع بين علماء الأمة أن ابن أبي سرح كان ممن قال: إني قد قلت مثل ما قال محمد، وأنه ارتد عن إسلامه ولحق بالمشركين. فكان لا شك بذلك من قبله مفترياً كذباً. وكذلك لا خلاف بين الجميع أن مسيلمة والعنسي الكذابين ادعيا على الله كذباً أنه بعثهما نبيين، وقال كل واحد منهما: إن الله أوحى إليه، وهو كاذب في قبله. فإن كان ذلك كذلك، فقد دخل في هذه الآية كل من كان مختلفاً على الله كذباً، وقائلاً في ذلك الزمان وفي غيره أوحى الله إليه، وهو في قبله كاذب لم يوح الله إليه شيئاً^(٤).

(١) هو: عكرمة بن عبد الله البربري المدني، أبو عبد الله، مولى ابن عباس، تابعي، كان من أعلم الناس بالتفسير والمغازي، وكان ثقةً ثباتاً، لم يثبت تكذيبه، ولا ثبتت عنه بدعة، مات سنة (١٠٤ هـ).
انظر: «التقريب» ص (٦٨٧)، و«طبقات المفسرين» (١/٣٨٦)، و«الأعلام» (٤/٢٤٤).

(٢) هو: مسيلمة بن ثمامة بن كبير الحنفي الوائلي، ولد باليامة، ويتلقب برحمن اليامة، وهو أحد من وفدوا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سنة (٩ هـ)، من بني حنيفة، وبعد عودة الوفد ارتد مسيلمة وادعى النبوة، فأرسل إليه أبو بكر الصديق جيشاً بقيادة خالد بن الوليد، فهزموا جيش مسيلمة وقتله وحشي بن حرب قاتل حمزة، وذلك سنة (١١ هـ). انظر: «الكامل لابن الأثير» (٢/٣٦١)، و«البداية والنهاية» (٥/٥٠)، و«الأعلام» (٨/١٢٥).

(٣) هو: عيهلة بن كعب، يلقب ذا الخمار؛ لأنه كان معتمراً مختمراً أبداً، ادعى النبوة في آخر حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان يريهم الأعاجيب، وكانت ردة أول ردة في الإسلام، وجاء كتاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى من بقي من المسلمين باليمن بقتله، فقتله أحدهم، وقد كانت فترة ملكه منذ ظهر إلى أن قتل ثلاثة أشهر سنة (١١ هـ). انظر: «البداية والنهاية» (٦/٣٠٦)، و«الأعلام» (٥/١١١).
انظر: «تفسير الطبري» (٩/٤٠٥)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٣٠٢)، و«زاد المسير» (٣/٨٦).

(٤) «تفسير الطبري» (٩/٤٠٧).

الفرع الثالث: شرح الآية.

يقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾^(١) الآية؛ أي: لا أحد أعظم ظلماً، ولا أكبر جرماً، ممن كذب على الله؛ بأن نسب إلى الله قولاً أو حكماً وهو تعالى بريء منه، وإنما كان هذا أظلم الخلق؛ لأن فيه من الكذب، وتغيير الأديان: أصولها وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله مما هو من أكبر المفاسد.

ويدخل في ذلك، ادعاء النبوة، وأن الله يوحى إليه، وهو كاذب في ذلك، فإنه - مع كذبه على الله، وجرأته على عظمته وسلطانه - يوجب على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم.

ويدخل في هذه الآية، كل من ادعى النبوة، كمسيلمة الكذاب، والأسود العنسي والمختار^(٢)، وغيرهم ممن اتصف بهذا الوصف.

﴿وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾؛ يعني: ومن أظلم ممن زعم أنه يقدر على ما يقدر الله عليه ويجاري الله في أحكامه، ويشرع من الشرائع، كما شرعه الله، ويدخل في هذا، كل من يزعم أنه يقدر على معارضة القرآن، وأنه في إمكانه أن يأتي بمثله. وأي ظلم أعظم من دعوى الفقير العاجز بالذات، الناقص من كل وجه، مشاركة القوي الغني، الذي له الكمال المطلق، من جميع الوجوه، في ذاته وأسمائه وصفاته؟^(٣).

ولما ذم الظالمين ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار، ويوم القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمْرَاتِ الْمَوْتِ﴾؛ أي: ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين، العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ما أنزل الله على

(١) هو: المختار بن أبي عبيدة الثقفي الكذاب، أبو إسحاق، ولد عام الهجرة، وليست له صحبة ولا رؤية، وأخباره غير مرضية حكاها عنه ثقات مثل: الشعبي وغيره، خرج على بني أمية سنة (٦١هـ). وادعى النبوة، وقتله مصعب بن الزبير بالكوفة سنة (٦٧هـ). انظر: «الإصابة» (٦/١٩٨)، و«سير أعلام النبلاء» (٣/٥٣٨)، و«الأعلام» (٨/٧٠).

(٢) انظر: «تفسير السعدي» (٢/٤٤).

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ **المعجم في بيان الآيات التي قال فيها ربنا**

بشر من شيء، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أن الله أوحى إليهم ولم يوح إليهم شيء، والقائلين: سننزل مثل ما أنزل الله، فتعابنهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحن فناء آجالهم.

والغمرات: جمع غمرة، وغمرة كل شيء: كثرته ومعظمه، وأصله: الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها.

﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ بِأَيْدِيهِمْ﴾؛ أي: بالضرب، كما قال: ﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَىٰ يَدِكَ لِنَقُلْنَ مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدِي إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ﴾ [المائدة: ٢٨]، وقال: ﴿وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَهُمْ بِالسُّوءِ﴾ [المتجنن: ٢].

وقال الضحاك: ﴿بَاسِطُوا أَيْدِيَهُمْ﴾؛ أي: بالعذاب، كما قال تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبُرَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ [الأنفك: ٥٠]؛ ولهذا قال: ﴿وَالْمَلٰٓئِكَةُ بِأَيْدِيهِمْ﴾ أي: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم؛ ولهذا يقولون لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾، وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال، والأغلال والسلاسل، والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده، وتعضى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿الْيَوْمَ تُجْرَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾؛ أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿يَمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق، الذي جاءت به الرسل. ﴿وَكُنْتُمْ عَنْ ءَايَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: ترفعون عن الانقياد لها، والاستسلام لأحكامها، وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب، والعذاب الموجه إليهم، إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده^(١).

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٤٠٨/٩)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٣٠٢)، و«تفسير السعدي» (٤٤/٢).

الفرع الرابع: بيان حكم ادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوحِ إليه شيئاً، وشدة تحريمه.

إن ادعاء الوحي من الله، أو إنزال مثل ما أنزل الله، حرام ومنكر لا يجوز بحال من الأحوال، وهو من أكبر الذنوب وأقبحها، ولا أظلم ممن فعله في باب الادعاء؛ لأن هذا يتضمن الكذب على الله وتغيير الأديان أصولها وفروعها، ونسبة ذلك إلى الله، ويوجب مفترية على الخلق أن يتبعوه، ويجاهدهم على ذلك، ويستحل دماء من خالفه وأموالهم، وهذا من أكبر المفاسد.

ومما يدل على قبحه وسوء عاقبته: ما أعده الله من العذاب لمن فعله؛ كما قال في الآية التي معنا: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرَجُوا أَنفُسَكُمْ أَيُّومٍ تُجْرُونَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، فيبغتهم العذاب قبل خروج أرواحهم وتبسط الملائكة أيديها بضرهم مع ما توعدهم الله به من عذاب الهون الذي يخزي ويذل من وقع به نعوذ بالله من ذلك.

المطلب السادس: الصَّدَفُ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ، وَبَيَانُهُ.

وتحتة أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيْنَهُ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةً فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِعَايَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنَّا آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٧].

الفرع الثاني: بيان المراد بالصدف عن آيات الله لغة، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الصدف لغةً:

الصدف في اللغة له عدة معاني منها:

الميل: قال ابن فارس: (الصاد والذال والفاء أصلان، الأول: يدل على الميل، والثاني: عرض من الأعراض، فالأول قولهم: صدف عن الشيء، إذا مال عنه وولى ذاهباً، والصدوف: الميل عن الشيء، وأصدفني عنه كذا وكذا أي: أمالني.

ومنها الإعراض يقال: صدف عنه يصدف: إذا أعرض إعراضاً شديداً.

ومنها العدول عن الشيء، يقال: صَدَفَ عَنْهُ يَصْدِفُ صَدْفًا وَصُدُوفًا: عَدَلَ، وَأَصْدَفَهُ عَنْهُ: عَدَلَهُ بِهِ، وَصَدَفَ عَنِّي: أَيِ أَعْرَضَ، وَيَأْتِي الصَّدْفُ بِمَعْنَى: الصَّرْفِ، يُقَالُ: صَدَفَ فَلَانًا عَنِ الشَّيْءِ صَدْفًا: أَيِ صَرَفَهُ^(١).

(١) انظر: «الصحاح» (٤/١٣٨٤)، و«تهذيب اللغة» (١٢/١٠٤)، و«مقاييس اللغة» (٣/٣٣٨)، و«المفردات في غريب القرآن» ص (٤٧٨)، و«لسان العرب» (٤/٢٤١٦) مادة: (صدف).

ثانيا: بيان المراد بالصدف عن آيات الله في أقوال المفسرين.

لقد ذكر الله في هذه الآية الكريمة ذنبن عظيمين، فقال: ﴿فَنَظَلَمُوا مِنَّا كَذِبًا﴾ **يَايَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا** ﴿١﴾، وقد سبق بيان المراد بالتكذيب بآيات الله في المطلب الرابع.

وأما الصَّدْفُ عن آيات الله فقد اختلف المفسرون في المراد به على قولين:

الأول: أنه صرف الناس وصدّهم عن آيات الله^(١)، وبه قال السدي، واختاره ابن كثير.

والثاني: أنه الإعراض عن آيات الله، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، واختاره الطبري.

والراجح: هو القول الأول ويدل عليه ما يلي:

أولاً: أننا لو فسرنا الصدف بالإعراض لجعلناه مرادفاً للإعراض، وقد ذكر الله إعراض الكفار عن آياته بآيتين مستقلتين، كما سيأتي في المطلب التالي، والأصل في ألفاظ القرآن التغاير لا الترادف، بل الترادف فيها نادر أو معدوم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والترادف في اللغة قليل، وأما في ألفاظ القرآن: فإما نادر وإما معدوم، وقل أن يعبر عن لفظ واحد بلفظ واحد يؤدي جميع معناه، بل يكون فيه تقريب لمعناه، وهذا من أسباب إعجاز القرآن)^(٢).

ثانياً: أن القرآن يفسر بعضه بعضاً، وقد أشار الحافظ ابن كثير أن هذه الآية تفسرها آيات أخرى، فقال: (وقول السدي ههنا فيه قوة؛ لأنه قال: ﴿فَنَظَلَمُوا مِنَّا كَذِبًا﴾ **يَايَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا** ﴿١﴾ [الأنعام: ١٥٧]، كما تقدم في أول السورة ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٦]، وقال تعالى ﴿الَّذِينَ

(١) سبق في المطلب الرابع ذكر خلاف المفسرين في المراد بآيات الله وأنها عامة.

(٢) «مقدمة في أصول التفسير» ص (٤٢).

المُعَامِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبَّنَا ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ ﴾

كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ ﴿ [النَّجْم: ٨٨]، وقال في هذه الآية الكريمة: ﴿ سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾^(١).

الفرع الثالث: شرح الآية.

وردت هذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾^(١٥٥) أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ ﴿ [الأنجاء: ١٥٥ - ١٥٦]، وقبل البدء بشرحها إليك بيان تفسير هاتين الآيتين ليتضح معنى الآية التي معنا.

يقول جل ثناؤه: ﴿ وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ ﴾؛ أي: هذا القرآن الذي أنزلناه إلى نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كتابٌ أنزلناه مبارك، ﴿ فَاتَّبِعُوهُ ﴾؛ يقول: فاجعلوه إماماً تتبعونه وتعملون بما فيه أيها الناس، ﴿ وَاتَّقُوا ﴾؛ يقول: واحذروا الله في أنفسكم أن تُضيعوا العمل بما فيه، وتتعدوا حدوده، وتستحلوا محارمه ﴿ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾؛ أي: إن قبلتموه ولم تخالفوه ترحمون برحمة الله سبحانه فتنجوا من عذاب الله وأليم عقابه^(٢).

﴿ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابَ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾؛ أي: لثلاثا تقولوا: إنما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا، والمعنى: لينقطع عذرهم، كما قال تعالى: ﴿ وَلَوْلَا أَنْ تُصِيبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [القصص: ٤٧].

وقوله: ﴿ عَلَيَّ طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا ﴾ قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى، وكذا قال مجاهد، والسدي، وقتادة، وغير واحد.

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٧٠).

(٢) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٦/ ١٠)، و«فتح القدير» (٢/ ٢٠٥).

وقوله: ﴿وَإِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَنَفِلِينَ﴾؛ أي: ما كنا نفهم ما يقولون؛ لأنهم ليسوا بلساننا، ونحن مع ذلك في شغل وغفلة عما هم فيه، فأنزل الله إليهم كتابًا، لم ينزل من السماء كتاب أجمع ولا أوضح ولا أبين منه.

ثم قال في الآية التي معنا: ﴿أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾ أي: ولئلا تقولوا: ﴿لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ﴾، كما أنزل على هاتين الطائفتين من قبلنا، فأمرنا فيه ونهينا، وبيّن لنا فيه خطأ ما نحن فيه من صوابه، ﴿لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمْ﴾؛ أي: لكننا أشد استقامة على طريق الحق واتباعًا للكتاب، وأحسن عملاً بما فيه من الطائفتين اللتين أنزل عليهما الكتاب من قبلنا.

يقول الله: ﴿فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾؛ يقول: فقد جاءكم كتاب بلسانكم عربيّ مبين، حجةٌ عليكم واضحة بينة من ربكم.

﴿وَهَدَىٰ﴾؛ أي: وبيان للحق، وفرقان بين الصواب والخطأ، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن عمل به واتبعه، وسعادة لكم في دينكم ودنياكم، فهذا يوجب لكم الانقياد لأحكامه والإيمان بأخباره، وأن من لم يرفع به رأساً وكذب به، فإنه أظلم الظالمين، ولهذا قال: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا﴾؛ أي: فلا أحد أظلم في هذا الباب ممن جمع بين التكذيب بآيات الله والصدف عنها؛ أي صرف الناس وصدّهم عن الإيمان بآيات الله وحججه ومن أعظمها القرآن، فقد جمعوا بين سيئتين، عدم إيمانه بأنفسهم وصد غيرهم عن الإيمان.

﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: سيجازي الله الذين يصرفون الناس ويصدونهم عن آيات الله والإيمان بها واتباعها، وأعظم ذلك القرآن العظيم، ﴿سُوءَ الْعَذَابِ﴾؛ أي: أسوأ العذاب وأشدّه الذي يسوء صاحبه ويشق عليه، ﴿بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾؛ أي: بسبب صرفهم للناس وصدّهم عن

آيات الله واتباع الهدى^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم الصَّدْفِ عن آيات الله، وشدة تحريمه.

إن الصَّدْفِ و صرف الناس عن الإيمان بآيات الله و حَجَّجِه الدالة على الحق ذنبٌ عظيم ووزرٌ كبيرٌ حرمه الله أشد التحريم، وهو منافٍ للإيمان، فكيف إذا انضم إليه التأكيد بآيات الله كما في هذه الآية؛ فهي ظلمات بعضها فوق بعض، فلا ظلم في باب التأكيد والصدف أعظم منه؛ لأن مُرتكبه قد جمع بين سيئتين وذنبيين عظيمين، فكذب بآيات الله الدالة على الإيمان به، وصرَّفَ غيره عن الإيمان بها، فهو كما قال الله: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٦]، ومما يدل على شدة التحريم وبلوغ هذين الذنبيين الغاية في القبح والظلم ما أخبر الله به من العذاب الذي أعده لهم بقوله: ﴿سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ﴾.

والواجب على كل من أراد نجاة نفسه أن يؤمن بآيات الله ويدعو إلى الإيمان بها، وأن يحذر من التأكيد بها والصد عنها.

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٩/١٠)، و«تفسير ابن كثير» (٣/٣٧٠)، و«فتح القدير» (٢/٢٠٤)، و«تفسير السعدي» (١٩/٢).

المطلب السابع: الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وبيانها.

وتحتها أربعة فروع.

الفرع الأول: نص الآيتين الواردة في ذلك:

لقد ورد ذلك في آيتين من كتاب الله وهما:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢].

الفرع الثاني: بيان المراد بالإعراض عن آيات الله لغة، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الإعراض لغة:

الإعراض عن الشيء هو: الصّد عنه، تقول أعرضت عن فلان، وأعرضت عن هذا الأمر، وأعرض بوجهه: ولّاه عرضه، وأعرض عنه إعراضاً: صدّ وولاه ظهره.

والإعراض: هو أن تولي الشيء عَرَضَكَ، أي جانبك ولا تُقبل عليه^(١).

ثانياً: بيان المراد بالإعراض عن آيات الله في أقوال المفسرين.

(١) انظر: «الصحاح» (٣/١٠٨٤)، و«مقاييس اللغة» (٤/٢٧١)، و«المفردات في غريب القرآن» ص(٥٥٩)، «التبيان في تفسير غريب القرآن» ص(٢٩١)، و«تاج العروس» (١٨/٤٠٩) مادة (عرض).

تدور أقوال المفسرين على أن المراد بالإعراض عن آيات الله هو: تركها وعدم الأخذ بها، وإليك بعضًا من أقوالهم في ذلك:

قال الطبري: (وأيُّ الناس أظلم لنفسه ممن وعظه الله بحججه، وآي كتابه ورسله، ثم أعرض عن ذلك كله، فلم يتعظ بمواعظه، ولكنه استكبر عنها)^(١).

وقال القرطبي: (أي لا أحد أظلم لنفسه ممن وعظ بآيات ربه، فتهاون بها وأعرض عن قبولها)^(٢).

وقال ابن كثير: (فأعرض عنها؛ أي: تناساها وأعرض)^(٣).

وقال الشنقيطي: (أي: تولى وصد عنها)^(٤).

الفرع الثالث: شرح الآيتين.

شرح الآية الأولى:

يقول تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾؛ أي:

لا أحد أظلم لنفسه، ولا أكبر جرماً، من عبد ذكّر بآيات الله ووعظ بها وبين له الحق من الباطل، والهدى من الضلال، وخوف ورهب ورغب، فأعرض عنها، ولم يصغ لها، ولا ألقى إليها بالاً، ولم يتذكر بما ذكر به، ولم يرجع عما كان عليه، ونسي ما قدمت يده من الذنوب والأعمال السيئة والأفعال القبيحة، ونسي ما أسلف من الذنوب المهلكة فلم يتب، ولم ينب، والنسيان هنا: بمعنى الترك، وقيل: المعنى نسي ما قدّم لنفسه وحصل من العذاب؛ والمعنى متقارب، فعاقبه الله بسبب إعراضه عن آياته،

(١) «تفسير الطبري» (١٨ / ٦٣٤).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» (٧ / ١١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٥ / ١٧٢).

(٤) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٣ / ٣٠٩).

ونسيانه لذنوبه، ورضاه لنفسه، حالة الشر مع علمه بها، أن سد عليه وعلى أمثاله أبواب الهداية فقال: ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾، فجعل على قلوبهم أغطية محكمة تمنعهم أن يفقهوا الآيات وإن سمعوها، فليس في إمكانهم الفقه الذي يصل إلى القلوب.

﴿ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ﴾؛ أي: ثَقُلْ وصمم عن الرشاد.

﴿ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى ﴾؛ أي: إلى الاستقامة على محجة الحق والإيمان بالله، وما جئتهم به من عند ربك.

﴿ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴾؛ أي: فلن يستقيموا إذا أبدًا على الحق، ولن يؤمنوا بما دعوتهم إليه؛ لأن الله قد طبع على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم، فإن الذي يُرجى أن يجيب الداعي للهدى من ليس عالمًا، وأما هؤلاء الذين أبصروا ثم عموا، ورأوا طريق الحق فتركوه، وطريق الضلال فسلكوه، فليس في هدايتهم حيلة ولا طريق وفي هذه الآية من التخويف لمن ترك الحق بعد علمه، أن يحال بينهم وبينه، ولا يتمكن منه بعد ذلك، ما هو أعظم مرهب وزاجر عن ذلك^(١).

شرح الآية الثانية:

يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾؛ أي: لا أظلم لنفسه ممن ذكره الله بآياته؛ أي: بحججه وعلاماته وبينها له ووضحها، ثم بعد ذلك تركها وجحدها وأعرض عنها وتناساها، كأنه لا يعرفها، لكونه سمع من آيات الله ما يوجب الإقبال على الإيمان والطاعة، فجعل الإعراض مكان ذلك والمجيء بشم للدلالة على استبعاد ذلك، وأنه مما ينبغي أن لا يكون.

(١) تم استخلافه من «تفسير الطبري» (٣٠٣/١٥)، و«تفسير القرطبي» (٧٩/١١)، و«تفسير ابن كثير» (١٧٢/٥)، و«تفسير السعدي» (١٦٧/٣).

المُعْظَمِ فِي بَيَانِ الْآيَاتِ الَّتِي قَالَتْ فِيهَا رَبُّنَا ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾

قال قتادة رَحِمَهُ اللهُ: (إياكم والإعراض عن ذكر الله، فإن من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة، وأعوز أشد العوز، وعظم من أعظم الذنوب).

ولهذا قال تعالى متهدداً لمن فعل ذلك: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾؛ أي: سأنتقم ممن فعل ذلك أشد الانتقام^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وشدة تحريمه.

إن الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها أمر مجمع على تحريمه، وهو ذنب عظيم، وظلم كبير، بل لا أظلم في باب الإعراض ممن فعل ذلك.

وما يدل على قبحه وشدة تحريمه: ما ذكره الله عن العقوبة التي أعدها لهم فقال في الآية الأولى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾، فأخبر أنه غطى على قلوبهم فلا يفقهون ولا يفهمون، وجعل في آذانهم ثقلاً يمنعهم من سماع الحق والمصير إليه، وعاقبهم بعدم الاهتداء وبقائهم على الضلالة أبداً.

وقال في الآية الثانية: ﴿إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾، فأخبر عن حلول انتقامه بهم والله شديد الانتقام، ووصفهم بأنهم مجرمون بسبب فعلهم هذا.

قال الأمين الشنقيطي: (...وما ذكره في هذه الآية الكريمة من أن الإعراض عن التذكرة بآيات الله من أعظم الظلم، قد زاد عليه في مواضع أخرى بيان أشياء من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة من الإعراض عن التذكرة، فمن نتائجه السيئة: ما ذكره هنا من أن صاحبه من أعظم الناس ظلماً، ومن نتائجه السيئة جعل الأكنة على القلوب حتى لا تفقه الحق، وعدم الاهتداء أبداً، كما قال هنا مبيناً بعض ما ينشأ

(١) تم استخلاصه من «تفسير القرطبي» (١٤/١٠٧)، و«تفسير ابن كثير» (٦/٣٧٠)، و«فتح القدير» (٤/٢٩٤)، و«تفسير السعدي» (٤/١٢٩).

عنه من العواقب السيئة: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ .

ومنها: انتقام الله جَلَّ وَعَلَا من المعرض عن التذكرة، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ .

ومنها: كون المعرض كالحمار، كما قال تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكَرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (٤٩) **كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ** ﴿ [المائدة: ٤٩ - ٥٠] .

ومنها: الإنذار بصاعقة مثل صاعقة عاد وثمود، كما قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ ﴿ [فصلت: ١٣] .

ومنها: المعيشة الضنكى والعمى، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ ﴿ [طه: ١٢٤] .

ومنها: سلكه العذاب الصعد، كما قال تعالى: ﴿لِنُقَبِّضَهُمْ فِيهِ وَمَنْ يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّي هُوَ يُسَلِّكُهُ عَذَابًا صَعَدًا﴾ ﴿ [الحج: ١٧] .

ومنها: تقييض القرناء من الشياطين، كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ ﴿ [الخوف: ٣٦] .

إلى غير ذلك من النتائج السيئة، والعواقب الوخيمة الناشئة عن الإعراض عن التذكير بآيات الله جَلَّ وَعَلَا^(١) .

(١) «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/ ٣٠٩) .

المطلب الثامن: التكذيب بالحق، وبيانه.

وتحته أربعة فروع.

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى

لِلْكَافِرِينَ﴾ [الْحَجَّكَوْت: ٦٨].

الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بالحق لغةً، وفي أقوال المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

الحق لغةً:

الحاء والقاف أصل واحد، وهو يدل على إحكام الشيء وصحته، والحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق وحِقاَق تقول: حقَّ الشيء يحقُّ حقًا معناه: وجب يجب وجوبًا. وحقُّ الأمر يحقُّ ويحقُّ حقًا وحقوقًا صار حقًا وثبت^(١).

ثانياً: بيان المراد بالتكذيب بالحق في أقوال المفسرين.

قد سبق الكلام على المراد بافتراء الكذب على الله في المطلب الثالث، وأما التكذيب بالحق، فقد تنوعت أقوال المفسرين في المراد به في هذه الآية وكلها حق والآية تشملها جميعاً، قال الشوكاني بعد إيراده لها: (والظاهر شموله لِمَا يصدق عليه أنه حق)^(٢)، وفيما يلي ذكرها:

قال الطبري: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾؛ يقول: أو كذب بما بعث الله به رسوله محمداً

(١) انظر: «تهذيب اللغة» (٣/ ٢٤١)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ١٥)، و«لسان العرب» (٢/ ٩٣٩) مادة: (حقق).

(٢) «فتح القدير» (٤/ ٢١٢).

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد لَمَّا جاءه هذا الحق من عند الله^(١).

وقال البغوي، وابن الجوزي: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ﴾ بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والقرآن^(٢).

وقال السمعاني: (يعني: القرآن، وقيل: محمدًا)^(٣).

وقال القرطبي: ﴿أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ﴾، قال يحيى بن سلام^(٤): بالقرآن، وقال السدي: بالتوحيد، وقال ابن شجرة^(٥): بمحمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكل قول يتناول القولين^(٦).

وقال الشوكاني: (أي: كذب بالرسول الذي أرسل إليه والكتاب الذي أنزله على رسوله، وقال السدي: كذب بالتوحيد، والظاهر شموله لما يصدق عليه أنه حق)^(٧).

(١) «تفسير الطبري» (١٨/٤٤٤).

(٢) «تفسير البغوي» (٦/٢٥٦)، و«زاد المسير في علم التفسير» (٦/٢٨٥).

(٣) «تفسير السمعاني» (٤/١٩٤).

(٤) لم أقف له على ترجمة.

(٥) هو: يزيد بن شَجَرَةَ بن أبي شجرة الرهاوي، شامي من مدحج، مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، كَانَ مَعَاوِيَةَ يَسْتَعْمَلُهُ عَلَى الْجِيوشِ، وَكَانَ أَمِيرًا حَازِمًا، قَتَلَ فِي إِحْدَى الْغَزَوَاتِ سَنَةَ (٥٥ هـ)، وَقِيلَ: (٥٨ هـ).
انظر: «الاستيعاب» (٤/١٣٨)، و«الكامل» (٣/١٩٠)، و«أسد الغابة» (٥/٤٩٥)، و«الإصابة» (٣/٦٥٨).

(٦) «الجامع لأحكام القرآن» (١٣/٣٦٤).

(٧) «فتح القدير» (٤/٢١٢).

الفرع الثالث: شرح الآية.

يقول تعالى ذكره: ومن أظلم أيها الناس ممن اختلقوا على الله كذبًا، فقالوا إذا فعلوا فاحشة: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بها، والله لا يأمر بالفحشاء.

﴿ أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ﴾؛ أي: كذب بالقرآن، وبالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وبما بعثه الله به من توحيده، والبراءة من الآلهة والأنداد، فلا أحد أشد عقوبة منه؛ لأنه جمع بين الافتراء والتكذيب، ولهذا قال: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾؛ يعني: أليس في النار مَثْوًى ومسكن لمن كفر بالله، وجحد توحيده، وكذب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وهذا تقرير، وليس باستفهام، والمراد أنهم يُجْزَوْنَ بها، وتكون منزلهم الدائم، الذي لا يخرجون منه^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم التكذيب بالحق، وشدة تحريمه.

إن التكذيب بالحق كفر بالله **جَلًّا وَعَلَا**، ومن الذنوب المحرمة بالإجماع، ومن أعظم الذنوب وأقبحها، وفاعل ذلك لا أظلم منه في باب التكذيب؛ لأنه كذب الله ورسوله، وأي ذنب أعظم من ذلك، ومما يدل على قبحه وسوءه ما أعده الله من العقوبة والنكال لمن صدر منه، قال تعالى في هذه الآية: ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾، وهذا استفهام تقرير، يقرر أن مثواهم الأبدي هو نار جهنم أعادنا الله منها.

قال الشيخ السعدي مبيناً شدة عقوبته: (...ولكن هذا الظالم العنيد، أمامه جهنم ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ يؤخذ بها منهم الحق، ويخزون بها، وتكون منزلهم الدائم، الذي لا يخرجون منه)^(٢).

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٤٤٤/١٨)، و«تفسير ابن كثير» (٢٩٥/٦)، و«تفسير السعدي» (٧٣/٤).

(٢) «تفسير السعدي» (٧٤/٤).

المطلب التاسع: الكذب على الله والتكذيب بالصدق، وبيانه.

وتحتها أربعة فروع:

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:

قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [النِّبَا: ٣٢].

الفرع الثاني: بيان المراد بالكذب على الله والتكذيب بالصدق لغَةً، وفي أقوال
المفسرين.

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة:

سبق بيان الكذب لغَةً في المطلب الثالث، وأما الصدق فأليك بيانه:

الصدق لغَةً:

قال ابن فارس: الصاد والذال والقاف: أصل يدل على قوة في الشيء قولاً وغيره، من ذلك الصدق: خلاف الكذب، سمي لقوته في نفسه؛ ولأن الكذب لا قوة له، هو باطل. وأصل هذا من قولهم شيء صدق؛ أي: صلب، ورُمح صدق، والصدق نقيض الكذب يصدق صدقاً وصدقاً وتصديقاً، وصدقته: قبل قوله، وصدقته الحديث أنبأ بالصدق، وصديق الرجل: الذي يصادقه المودة، والصادق والصدوق واحد، وهذا مصداق الأمر؛ أي حقيقته، والصدق: الصلب من كل شيء^(١).

(١) انظر: «الصحاح» (٤/١٥٠٥)، و«مقاييس اللغة» (٣/٣٣٩)، و«لسان العرب» (٤/٢٤١٧) مادة: (صدق).

ثانيا: بيان المراد بالكذب على الله والتكذيب بالصدق في أقوال المفسرين.

لقد اشتملت هذه الآية الكريمة على ذنبين عظيمين، وهما الكذب على الله، والتكذيب بالصدق، ولذا سأفرد كل واحد منهما بذكر أقوال المفسرين فيه كما يلي:

أولا: أقوال المفسرين في بيان المراد بالكذب على الله.

لقد تعددت أقوال المفسرين في بيان المراد بالكذب على الله، والآية شاملة لها جميعاً؛ لأن ما ذكره المفسرون لا يعدو أن يكون نوعاً من أنواع الكذب، فتدخل كلها تحت جنس الكذب على الله، وإليك بيانها:

الأول: قال مجاهد وقتادة: كذبهم على الله هو: زعم اليهود أن عزيزاً ابن الله، وزعم النصارى أن المسيح ابن الله^(١).

الثاني: قال السدي: هو الشرك، وزعم قريش أن الملائكة بنات الله.

الثالث: وقال بعضهم: كذبهم على الله: تكذيب أنبياء الله.

الرابع: قال الطبري: هو ادعاءهم أن الله ولدًا وصاحبة، أو تحريمهم ما لم يحرمه من المطاعم^(٢).

الخامس: قال ابن كثير: هو أنهم جعلوا معه آلهة أخرى، وادَّعوا أن الملائكة بنات الله، وجعلوا لله ولدًا^(٣).

ثانيا: أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بالصدق.

القول بالتكذيب بالصدق ينطبق عليه ما قيل في الذي قبله، وهو أن ما ذكره

(١) انظره والقولين بعده في: «تفسير السمعاني» (٤/٤٦٩).

(٢) انظر: «تفسير الطبري» (٢٠/٢٠٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/٩٨).

المفسرون من أقوال في المراد به هو من باب تعداد بعض الأنواع التي تندرج تحت دلالة الآية، والآية شاملة لها جميعاً، فهو من باب اختلاف التنوع لا التضاد، وإليك ذكرها:

الأول: قال قتادة: ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ أي: بالقرآن^(١).

الثاني: قال الطبري: (...). ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ يقول: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه الله به رسولاً، وأنكر قول لا إله إلا الله^(٢).

الثالث: قال السمعي: ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ أي: بالقرآن إذ جاءه، ويقال: بالرسول إذ جاءه^(٣).

الرابع: قال ابن كثير: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ أي: لا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذب رسول الله، قالوا الباطل وردوا الحق^(٤).

الفرع الثالث: شرح الآية.

يقول الله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾؛ أي: لا أحد أظلم وأشد ظملاً ﴿مِمَّنْ كَذَّبَ عَلَى اللَّهِ﴾، إما بنسبته إلى ما لا يليق بجلاله، أو بادعاء النبوة، أو الإخبار بأن الله تعالى قال كذا، أو أخبر بكذا، أو حكم بكذا وهو كاذب، فهذا داخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، إن كان جاهلاً وإلا فهو أشنع وأشنع.

﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾؛ أي: وكذب بكتاب الله إذ أنزله على محمد، وابتعثه

(١) «تفسير الطبري» (٢٠/٢٠٣).

(٢) «تفسير الطبري» (٢٠/٢٠٣).

(٣) «تفسير السمعي» (٤/٤٦٩).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٧/٩٨).

الله به رسولاً، وأنكر قول لا إله إلا الله، فلا أحد أظلم من هذا؛ لأنه جمع بين طرفي الباطل، كذب على الله، وكذب رسول الله، فقال الباطل ورد الحق؛ ولهذا قال متوعدا لهم: ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾؛ يقول تبارك وتعالى: أليس في النار مأوى ومسكن لمن كفر بالله وامتنع من تصديق محمد **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** واتباعه على ما يدعوه إليه مما أتاه به من عند الله من التوحيد، وحكم القرآن؟^(١).

الفرع الرابع: بيان حكم الكذب على الله والتكذيب بالصدق، وشدة تحريمه.

إن الكذب على الله، والتكذيب بالصدق كفر وضلال، وحرام بتحريم الله ورسوله، وهو من أشبع الذنوب وأقبحها، ومن فعله فهو أشد الناس ظلماً في بابه وليس هناك أحد أظلم منه؛ لأن الكذب على الله ليس ككذب على غيره، فكيف إذا انضم إليه التكذيب بالصدق والحق الذي جاء من عند الله أو أخبرت به رسله، فيجب على كل مكلف أن يحذر أشد الحذر من الكذب على الله، فيجتنب كثيره وقليله، ولا يتلبس بشيء منه، كما يجب عليه الحذر من التكذيب بالصدق والحق، بل يجب عليه التصديق بالصدق والحق واعتقاده والعمل بموجبه.

ومما يدل على سوءه وشدة تحريمه ما أخبر الله به في هذه الآية بقوله: ﴿ **أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ** ﴾، فهو استفهام يراد به تقرير أن مثواهم ومكانهم الذي يسكنونه ويلزمونه يوم القيامة هي النار وبئس المصير خالدين فيها أبد الآباد ﴿ **لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فِيمِوتُوا وَلَا يَحْفَافُ عَنْهُمْ مِّنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ** ﴾ [فِطْرَةٌ: ٣٦]، ومما يدل على قبح الكذب على الله قوله تعالى: ﴿ **وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ** ﴾ [الزُّمَرُ: ٦٠].

(١) تم استخلاصه من «تفسير الطبري» (٢٠٣/٢٠)، و«تفسير ابن كثير» (٩٩/٧)، و«تفسير السعدي» (٣٢٢/٤).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وبعد:

لقد توصلت بعد الكتابة في هذا البحث المبارك إلى جملة من النتائج أُجملها في الآتي:

١. أن المراد بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ في الآيات؛ أي: لا أحد أظلم منه في بابه.
٢. أن من جمع بين عدد من الذنوب التي قال الله فيها: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أشد ظلمًا ممن اقتصر على واحد منها.
٣. أن عدد الآيات التي قال الله فيها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾: خمس عشرة آية، عشر منها بلفظ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وخمس منها بلفظ: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾.
٤. أن عدد الذنوب التي قال الله عنها: ﴿مَنْ أَظْلَمُ﴾ تسعة ذنوب وهي:
 - أ- منع المساجد من ذكر اسم الله فيها والسعي في خرابها.
 - ب- كتم الشهادة التي من الله.
 - ت- افتراء الكذب على الله.
 - ث- التكذيب بآيات الله.
 - ج- ادّعاء أحدٍ أن الله أوحى إليه ولم يوح إليه شيء.
 - ح- الصّدْفُ عن آيات الله.
 - خ- الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها.
 - د- التكذيب بالحق.

ذ- الكذب على الله والتكذيب بالصدق.

٥. أن جميع هذه الذنوب كفر بالله.

٦. أن جميع هذه الذنوب في غاية الشناعة والقبح والسوء.

٧. شدة العقوبة التي أعدها الله لمرتكبي هذه الذنوب.

٨. وجوب الحذر من ارتكاب شيء منها غاية الحذر.

الفهارس

فهرسة المصادر والمراجع

فهرسة الموضوعات

فهرسة المصادر والمراجع

١. الإلتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١) تحقيق مركز الدراسات القرآنية بمجمع الملك فهد لطباعة المصحف نشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ط (١) عام (١٤٢٦هـ)
٢. أسد الغابة في معرفة الصحابة، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، المحقق: علي محمد معوض - عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، سنة النشر: ١٤١٥هـ - ١٩٩٤ م.
٣. الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي ابن حجر، نشر دار الكتب العلمية بيروت.
٤. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
٥. إعانة المستفيد بشرح كتاب التوحيد، المؤلف: صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الثالثة، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢ م.
٦. إعراب القرآن وبيانه، المؤلف: محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (المتوفى: ١٤٠٣هـ)، الناشر: دار الإرشاد للشئون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت)، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت)، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.
٧. الأعلام، تأليف خير الدين الزركلي، نشر دار العلم للملايين بيروت، الطبعة السادسة ١٩٨٤ م. التاريخ الكبير؛ لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (٢٥٦هـ)، نشر: دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد - الدكن؛ طبع تحت مراقبة: محمد عبد المعيد خان.

٨. إنباه الرواة على أنباه النحاة، المؤلف: جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي (المتوفى: ٦٤٦هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: دار الفكر العربي - القاهرة، ومؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٢ م.
٩. الإبان، المؤلف: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، الطبعة: الخامسة، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م.
١٠. البداية والنهاية، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) المحقق: علي شيري، الناشر: دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م
١١. البرهان في علوم القرآن، المؤلف: محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي أبو عبد الله، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٩١، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم.
١٢. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، المؤلف: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العصرية - لبنان / صيدا.
١٣. تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي ت: ١٢٠٥ هـ، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.
١٤. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، المؤلف: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، المحقق: الدكتور بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي، الطبعة: الأولى، ٢٠٠٣ م.
١٥. التبيان في تفسير غريب القرآن، المؤلف: أحمد بن محمد بن عماد الدين بن علي، أبو العباس، شهاب الدين، ابن الهائم (المتوفى: ٨١٥هـ)، المحقق: د ضاحي عبد الباقي محمد، الناشر: دار الغرب الإسلامي - بيروت.

١٦. التحرير والتنوير: لمحمد الطاهر ابن عاشور؛ نشر الدار التونسية، سنة ١٩٨٤ م.
١٧. التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت: ٨١٦ هـ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
١٨. تفسير ابن عطية المعروف بالمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، للقاضي أبي محمد، عبد الحق بن غالب بن عطية، تحقيق المجلس العلمي بفاس، مطابع فضالة بالمحمدية المغرب، الطبعة الثانية ١٤٠٣ هـ.
١٩. تفسير البحر المحيط، المؤلف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، الطبعة: الأولى، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود - الشيخ علي محمد معوض.
٢٠. تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، المؤلف: الشيخ العلامة محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي المرري الشافعي، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
٢١. تفسير الشوكاني المعروف بفتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، اسم المؤلف: محمد بن علي بن محمد الشوكاني، دار النشر: دار الفكر - بيروت.
٢٢. تفسير الطبري المسمى: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق عبد الله التركي طبع دار هجر.
٢٣. تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد شاكر، دار المعارف بمصر، الطبعة الثانية.
٢٤. تفسير الفاتحة والبقرة، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١ هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
٢٥. تفسير القرآن العظيم: تأليف أبي الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق سامي بن محمد سلامة، نشر دار طيبة، الطبعة الثانية ١٤٢٠ هـ.

٢٦. تفسير القرآن، المؤلف: أبو المظفر، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني التميمي الحنفي ثم الشافعي (المتوفى: ٤٨٩هـ)، المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، الناشر: دار الوطن، الرياض - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.
٢٧. تفسير القاسمي المعروف بمحاسن التأويل، المؤلف: محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ.
٢٨. تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، لم تذكر فيه الطبعة.
٢٩. تفسير الكهف، المؤلف: محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ)، الناشر: دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.
٣٠. تفسير اللباب لابن عادل، المؤلف: أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي المتوفى بعد سنة ٨٨٠هـ، دار النشر / دار الكتب العلمية - بيروت.
٣١. تقريب التهذيب، للحافظ أحمد بن علي المعروف بابن حجر، تحقيق أبي الأشبال صغير أحمد شاغف، دار العاصمة الرياض، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ.
٣٢. التَّنْوِيرُ شَرْحُ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف كأسلافه بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، المحقق: د. محمد إسحاق محمد إبراهيم، الناشر: مكتبة دار السلام، الرياض، الطبعة: الأولى، ١٤٣٢هـ - ٢٠١١م.
٣٣. تهذيب الكمال في أسماء الرجال، ليوסף بن عبد الرحمن بن يوسف، أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزني ت: ٧٤٢هـ، المحقق: د. بشار عواد معروف، الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت، الطبعة: الأولى سنة ١٤٠٠هـ.
٣٤. تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى، تحقيق عبد السلام هارون، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر، الدار المصرية للنشر والترجمة.

٣٥. التيسير بشرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: مكتبة الإمام الشافعي - الرياض، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م.
٣٦. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، المؤلف: سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الاسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م.
٣٧. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تأليف العلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تقديم محمد زهري النجار، منشورات دار المدني بجدة ١٤٠٨هـ.
٣٨. الجامع الصحيح وهو سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تحقيق أحمد شاکر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، الطبعة الثانية ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٣٩. جمهرة اللغة، المؤلف: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، المحقق: رمزي منير بعلبكي، الناشر: دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.
٤٠. حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، المؤلف: أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
٤١. خطبة الحاجة التي كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعلمها أصحابه، لمحمد ناصر الدين الألباني، نشر مكتبة المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ.
٤٢. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، المؤلف: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (المتوفى: ٧٥٦هـ)، المحقق: الدكتور أحمد محمد الخراط، الناشر: دار القلم، دمشق.
٤٣. الدر المنثور في التفسير بالمأثور: لجلال الدين، عبد الرحمن السيوطي، دار الفكر - بيروت، طبع ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٤. دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد

القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، الناشر: مكتبة ابن تيمية - القاهرة، توزيع: مكتبة الخراز - جدة، الطبعة: الأولى ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

٤٥. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين؛ المؤلف: محمد علي بن محمد بن محمد بن علان بن إبراهيم البكري الصديقي الشافعي (المتوفى: ١٠٥٧هـ)؛ اعتنى بها: خليل مأمون شيخا؛ الناشر: دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان؛ الطبعة: الرابعة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

٤٦. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، المؤلف: شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ

٤٧. زاد المسير: لأبي الفرج، عبد الرحمن بن الجوزي؛ نشر المكتب الإسلامي؛ الطبعة الأولى.

٤٨. سنن أبي داود، للحافظ أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

٤٩. سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي،

بيروت.

٥٠. سير أعلام النبلاء، لشمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق شعيب

الأرنؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٨٢م.

٥١. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، المؤلف: عبد الحي بن أحمد بن محمد ابن العماد

الحنبلي (١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرنؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار ابن كثير، دمشق بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٥٢. شرح معاني الآثار لابي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي

الحجري المصري المعروف بالطحاوي (٣٢١هـ)، حققه: محمد زهري النجار نشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م

٥٣. شعب الإيمان؛ المؤلف: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الحُسْرُو جردى الخراساني،

أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)؛ حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد

- الحميد حامد؛ أشرف على تحقيقه وتخرجه أحاديثه: مختار أحمد الندوي، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي بالهند؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٥٤. الصحاح، المؤلف: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت: ٣٩٣ هـ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
٥٥. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف علاء الدين، علي بن بلبان الفارسي، تحقيق شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثالثة ١٤١٨ هـ.
٥٦. صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر: دار ابن كثير، اليمامة بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ - ١٩٨٧، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا أستاذ الحديث وعلومه في كلية الشريعة جامعة دمشق.
٥٧. صحيح الترغيب والترهيب، تأليف العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبع دار المعارف الرياض، الطبعة الأولى ١٤٢١ هـ.
٥٨. صحيح مسلم، تأليف أبي الحسين، مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
٥٩. ضعيف الجامع الصغير وزيادته، المؤلف: أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ)، الناشر: المكتب الإسلامي.
٦٠. الطبقات الكبرى، تأليف محمد بن سعد بن منيع الزهري المتوفى: ٢٣٠ هـ، تحقيق: علي محمد عمر، الناشر: مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١ م.
٦١. طبقات المفسرين، تأليف: محمد بن علي بن أحمد الداوودي، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٣ هـ.
٦٢. طريق الهجرتين وباب السعادتين، المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١ هـ)، الناشر: دار ابن القيم - الدمام، الطبعة الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٤، تحقيق: عمر بن محمود أبو عمر.
٦٣. العذب النمبر من مجالس الشنقيطي في التفسير، المؤلف: محمد الأمين بن محمد المختار بن

- عبد القادر الجكني الشنقيطي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ.
٦٤. عمدة القاري شرح صحيح البخاري؛ المؤلف: أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)؛ الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٦٥. الفتاوى الكبرى، المؤلف: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني أبو العباس، الناشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٨٦.
٦٦. فتح الباري، شرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز، وترتيب محمد فؤاد عبد الباقي، دار الريان للتراث - القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ.
٦٧. الفروق اللغوية أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الكتب العلمية.
٦٨. فيض القدير شرح الجامع الصغير، المؤلف: زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى: ١٠٣١هـ)، الناشر: المكتبة التجارية الكبرى - مصر.
٦٩. قواعد الترجيح عند المفسرين، للدكتور حسين بن علي بن حسين الحربي، طبع دار القاسم جده، الطبعة الثانية عام ١٤٢٩هـ.
٧٠. الكامل في التاريخ، المؤلف: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (المتوفى: ٦٣٠هـ)، تحقيق: عبد الله القاضي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ.
٧١. لسان العرب، لأبي الفضل، جمال الدين، محمد بن مكرم، الشهير بابن منظور، تصوير دار الفكر عن طبعة دار صادر بيروت.
٧٢. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، تأليف محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧٣. مجموع الفتاوى: لشيخ الإسلام، ابن تيمية، أبي العباس، تقي الدين، أحمد بن عبد الحلیم، جمع عبد الرحمن بن قاسم النجدي، توزيع الرئاسة العامة لشئون الحرمين، تنفيذ مكتبة الحديث، طبع إدارة المساجد العسكرية بالقاهرة.
٧٤. المختصر في أخبار البشر، المؤلف: أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، صاحب حماة (المتوفى: ٧٣٢هـ)، الناشر: المطبعة الحسينية المصرية، الطبعة: الأولى.
٧٥. مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح؛ المؤلف: علي بن (سلطان) محمد، أبو الحسن نور الدين الملا الهروي القاري (المتوفى: ١٠١٤هـ)؛ الناشر: دار الفكر، بيروت - لبنان؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
٧٦. المستدرک علی الصحیحین، لأبي عبد الله، محمد بن عبد الله، المعروف بالحاكم، وبذيله تلخيص المستدرک للذهبي، دار الكتب العلمية.
٧٧. مسند أبي داود الطيالسي، لسليمان بن داود بن الجارود، تحقيق: محمد بن عبد المحسن التركي، نشر دار هجر، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ.
٧٨. مسند أبي يعلى المؤلف: أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي، الموصلي (المتوفى: ٣٠٧هـ)؛ المحقق: حسين سليم أسد؛ الناشر: دار المأمون للتراث - دمشق؛ الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ - ١٩٨٤.
٧٩. مسند الإمام أحمد بن محمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ)، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفاقه، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ.
٨٠. مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار؛ المؤلف: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله العتكي المعروف بالبزار (المتوفى: ٢٩٢هـ)؛ تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، الناشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة؛ الطبعة: الأولى.
٨١. مصنف ابن أبي شيبة لعبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (٢٣٥هـ) المحقق: كمال يوسف الحوت الناشر: مكتبة الرشد - الرياض الطبعة: الأولى، ١٤٠٩.

٨٢. معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب؛ المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (٦٢٦هـ)؛ المحقق: إحسان عباس؛ الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م؛
٨٣. المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين - القاهرة.
٨٤. المعجم الكبير؛ المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب أبو القاسم الطبراني الناشر: مكتبة العلوم والحكم - الموصل؛ الطبعة الثانية، ١٤٠٤ - ١٩٨٣؛ تحقيق: حمدي بن عبدالمجيد السلفي.
٨٥. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، الطبعة: ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
٨٦. المفردات في غريب القرآن، المؤلف: أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، المحقق: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية دمشق بيروت، الطبعة: الأولى ١٤١٢ هـ.
٨٧. مقدمة في أصول التفسير، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية ت: ٧٢٨هـ) تحقيق فواز زمرلي، الناشر: دار ابن الجوزي.
٨٨. مكارم الأخلاق ومعاليتها ومحمود طرائقها؛ المؤلف: أبو بكر محمد بن جعفر بن محمد بن سهل بن شاكر الخرائطي السامري (المتوفى: ٣٢٧هـ)؛ تقديم وتحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري؛ الناشر: دار الآفاق العربية، القاهرة؛ الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٩ م.
٨٩. الوابل الصيب من الكلم الطيب، المؤلف: محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، تحقيق: محمد عبد الرحمن عوض.
٩٠. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، المؤلف: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي، (المتوفى: ٤٦٨هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت

- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م

٩١. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن

خلكان المتوفى سنة ٦٨١ هـ، دار صادر بيروت، تحقيق: إحسان عباس.

فهرسة الموضوعات

- ٥ مئة تأنيهاً
- ٦ أهمية الموضوع وأسباب الكتابة فيه
- ٧ خطة البحث
- ١١ منهج البحث
- المبحث الأول: تعريف الظلم وبيان أنواعه،
والنصوص الواردة في التحذير منه، وذكر
أقوال أهل العلم في توجيه قوله تعالى:
- ١٣ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾
- ١٥ المطلب الأول: تعريف الظلم لغةً واصطلاحاً
- ١٦ المطلب الثاني: بيان أنواع الظلم
- المطلب الثالث: النصوص الواردة في التحذير من
الظلم
- ١٨ المطلب الرابع: أقوال أهل العلم في توجيه قوله
تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾
- ١٩ أولاً: ذكر النصوص الواردة في تحريم الظلم في كتاب الله:
- ٢١ ثانياً: ذكر النصوص الواردة في تحريم الظلم في سنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ...
- المطلب الرابع: أقوال أهل العلم في توجيه قوله
تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾
- ٢٧ المبحث الثاني في ذكر الذنوب التي قال الله
فيها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وبيانها
- ٣١ فيها ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ﴾، وبيانها

- المطلب الأول: منع المساجد من ذكر اسم الله فيها**
- والسعي في خرابها، وبيانه..... ٣٣
- الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:..... ٣٣
- الفرع الثاني: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها لغةً،
وفي أقوال المفسرين..... ٣٣
- أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغةً:..... ٣٣
- المنع لغةً:..... ٣٣
- المساجد لغةً:..... ٣٣
- السَّعي لغةً:..... ٣٥
- الخراب لغةً:..... ٣٦
- ثانياً: بيان المراد بالمنع من ذكر الله في المساجد والسعي في خرابها في أقوال
المفسرين:..... ٣٦
- الفرع الثالث: شرح الآية: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ
يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ، وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا﴾ [البقرة: ١١٤]..... ٣٩
- الفرع الرابع: بيان حكم منع المساجد من ذكر الله والسعي في خرابها وشدة
تحريمه:..... ٤١
- المطلب الثاني: كتم الشهادة من الله، وبيانه**..... ٤٣
- الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك:..... ٤٣

- الفرع الثاني: بيان المراد بكتم الشهادة لغة، وفي أقوال المفسرين ٤٣
- أولا: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة: ٤٣
- الكتم لغة: ٤٣
- الشهادة لغة: ٤٤
- ثانيا: بيان المراد بكتمان الشهادة في أقوال المفسرين: ٤٤
- الفرع الثالث: شرح الآية: قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٠] ٤٦
- الفرع الرابع: بيان حكم كتمان الشهادة من الله وشدة تحريمه: ٤٨
- المطلب الثالث: افتراء الكذب على الله، وبيانه** ٥٠
- الفرع الأول: نص الآيات الواردة في ذلك: ٥٠
- الفرع الثاني: بيان المراد بافتراء الكذب على الله لغة، وفي أقوال المفسرين ٥١
- أولا: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة: ٥١
- الافتراء لغة: ٥١
- الكذب لغة: ٥١
- ثانيا: بيان المراد بافتراء الكذب في أقوال المفسرين: ٥٢
- الفرع الثالث: شرح الآيات الواردة في ذلك: ٥٤
- شرح الآية الأولى: قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٤] ٥٥

- شرح الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [هُود: ١٨]..... ٥٧
- شرح الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿ هَؤُلَاءِ قَوْمًا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴾ [الكهف: ١٥]..... ٥٨
- شرح الآية الرابعة: وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الصَّف: ٧]..... ٥٩
- الفرع الرابع: بيان حكم افتراء الكذب على الله، وشدة تحريمه. ٦٠
- المطلب الرابع: التأكيد بآيات الله، وبيانه**..... ٦٢
- الفرع الأول: نص الآيات الواردة في ذلك: ٦٢
- الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بآيات الله لغة، وفي أقوال المفسرين. ٦٣
- أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة: ٦٣
- الآيات لغة: ٦٣
- ثانياً: بيان المراد بيان المراد بالتكذيب بآيات الله في أقوال المفسرين. ٦٣
- الفرع الثالث: شرح الآيات. ٦٥
- شرح الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴾ [الأنعام: ٢١]..... ٦٥

شرح الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ

بِآيَاتِهِ ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ الْكُذْبِ ۗ﴾ [الْاِنْفِرَاتِ: ٣٧]..... ٦٦

شرح الآية الثالثة: قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۗ﴾ [يُونُسَ: ١٧]..... ٦٨

الفرع الرابع: بيان حكم التكذيب بآيات الله، وشدة تحريمه. ٦٩

المطلب الخامس: إِدْعَاءُ أَحَدِ أَنْ اللَّهُ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ

شَيْءٌ، وَبَيَانُهُ..... ٧٠

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك: ٧٠

الفرع الثاني: بيان المراد بادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوح إليه شيء لغة وفي

أقوال المفسرين..... ٧٠

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة: ٧٠

الوحي لغة: ٧٠

ثانياً: بيان المراد بادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوح إليه شيء في أقوال

المفسرين ٧١

الفرع الثالث: شرح الآية: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ

قَالَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحِ إِلَيْهِ شَيْءٌ ۗ وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ ۗ﴾ [الْاِنْفِرَاتِ: ٩٣].. ٧٣

الفرع الرابع: بيان حكم ادعاء أن الله أوحى إليه والله لم يوح إليه شيء،

وشدة تحريمه. ٧٥

٧٥ **المطلب السادس: الصدف عن آيات الله، وبيانه.**

٧٥ الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك

٧٥ الفرع الثاني: بيان المراد بالصدف عن آيات الله لغة وفي أقوال المفسرين .

٧٥ أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة.

٧٥ الصدف لغة:

٧٧ ثانياً: بيان المراد بالصدف عن آيات الله في أقوال المفسرين .

الفرع الثالث: شرح الآية: قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ بِعَايَاتِ اللَّهِ
وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجَزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ ﴾

٧٨ [الأنعام: ١٥٧]

٨٠ الفرع الرابع: بيان حكم الصدف عن آيات الله، وشدة تحريمه.

المطلب السابع: الإعراض عن آيات الله بعد التذكير

٨١ **بها، وبيانه.**

٨١ الفرع الأول: نص الآيتين الواردة في ذلك:

٨١ الفرع الثاني: بيان المراد بالإعراض عن آيات الله لغة وفي أقوال المفسرين .

٨١ أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة

٨١ الإعراض لغة

٨١ ثانياً: بيان المراد بالإعراض عن آيات الله في أقوال المفسرين .

٨٢ الفرع الثالث: شرح الآيتين.

شرح الآية الأولى: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧] ٨٢

شرح الآية الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ﴾ [التجيلة: ٢٢] ٨٣

الفرع الرابع: بيان حكم الإعراض عن آيات الله بعد التذكير بها، وشدة تحريمه. ٨٥

المطلب الثامن: التكذيب بالحق، وبيانه. ٨٦

الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك: ٨٦

الفرع الثاني: بيان المراد بالتكذيب بالحق لغة وفي أقوال المفسرين. ٨٦

أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة ٨٦

الحق لغة ٨٦

ثانياً: بيان المراد بالتكذيب بالحق في أقوال المفسرين. ٨٦

الفرع الثالث: شرح الآية: قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الجنجوت: ٦٨] ... ٨٨

الفرع الرابع: بيان حكم التكذيب بالحق، وشدة تحريمه ٨٨

المطلب التاسع: الكذب على الله والتكذيب بالصدق، وبيانه. ٨٩

- الفرع الأول: نص الآية الواردة في ذلك ٨٩
- الفرع الثاني: بيان المراد بالكذب على الله والتكذيب بالصدق لغة وفي أقوال
المفسرين ٨٩
- أولاً: بيان الكلمات التي تحتاج إلى بيان لغة ٨٩
- الصدق لغة ٨٩
- ثانياً: بيان المراد بالكذب على الله والتكذيب بالصدق في أقوال المفسرين. ٩٠
- أولاً: أقوال المفسرين في بيان المراد بالكذب على الله. ٩٠
- ثانياً: أقوال المفسرين في بيان المراد بالتكذيب بالصدق. ٩٠
- الفرع الثالث: شرح الآية: قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ
وَكَذَّبَ بِالْصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ۗ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [الزُّمَرُ: ٣٢].... ٩١
- الفرع الرابع: بيان حكم الكذب على الله والتكذيب بالصدق، وشدة تحريمه
..... ٩٢
- الخاتمة** ٩٣
- الفهارس ٩٥
- فهرسة المصادر والمراجع ٩٧
- فهرسة الموضوعات ١٠٩

بِحَمْدِ اللَّهِ

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ :

(فأعظم أسباب شرح الصدر: التوحيد وعلى حسب كماله، وقوته، وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه. قال الله تعالى: ﴿أَمَّنْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزُّبُر: ٢٢]. وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ، لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُغْضِبْ صَدْرَهُ، ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

فالهدي والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه.

ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه، ويُفْرِح القلب. فإذا فُقد هذا النور من قلب العبد، ضاق وحرَج، وصار في أضيق سجن وأصعبه...

فيصيب العبد من انشراح صدره بحسب نصيبه من هذا النور، وكذلك النور الحسبي، والظلمة الحسبية، هذه تشرح الصدر، وهذه تضيقه.

ومنها: العلم، فإنه يشرح الصدر، ويوسعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد، انشراح صدره واتسع، وليس هذا لكل علم، بل للعلم الموروث عن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو العلم النافع، فأهلُه أشرح الناس صدرًا، وأوسعهم قلوبًا، وأحسنهم أخلاقًا، وأطيبهم عيشًا...

ومنها: ترك فضول النظر، والكلام، والاستماع، والمخالطة، والأكل، والنوم، فإن هذه الفضول تستحيل آلامًا وغمومًا، وهمومًا في القلب، تحضره، وتحبسها، وتضييقه، ويتعدَّب بها، بل غالب عذاب الدنيا والآخرة منها (...)

(زاد المعاد) (٢/ ٢٢-٢٦)



0096599494122



www.IBNABITALIB.com



@IBNABITALIB



IBNABITALIB1@gmail.com